أزمنة في زمان

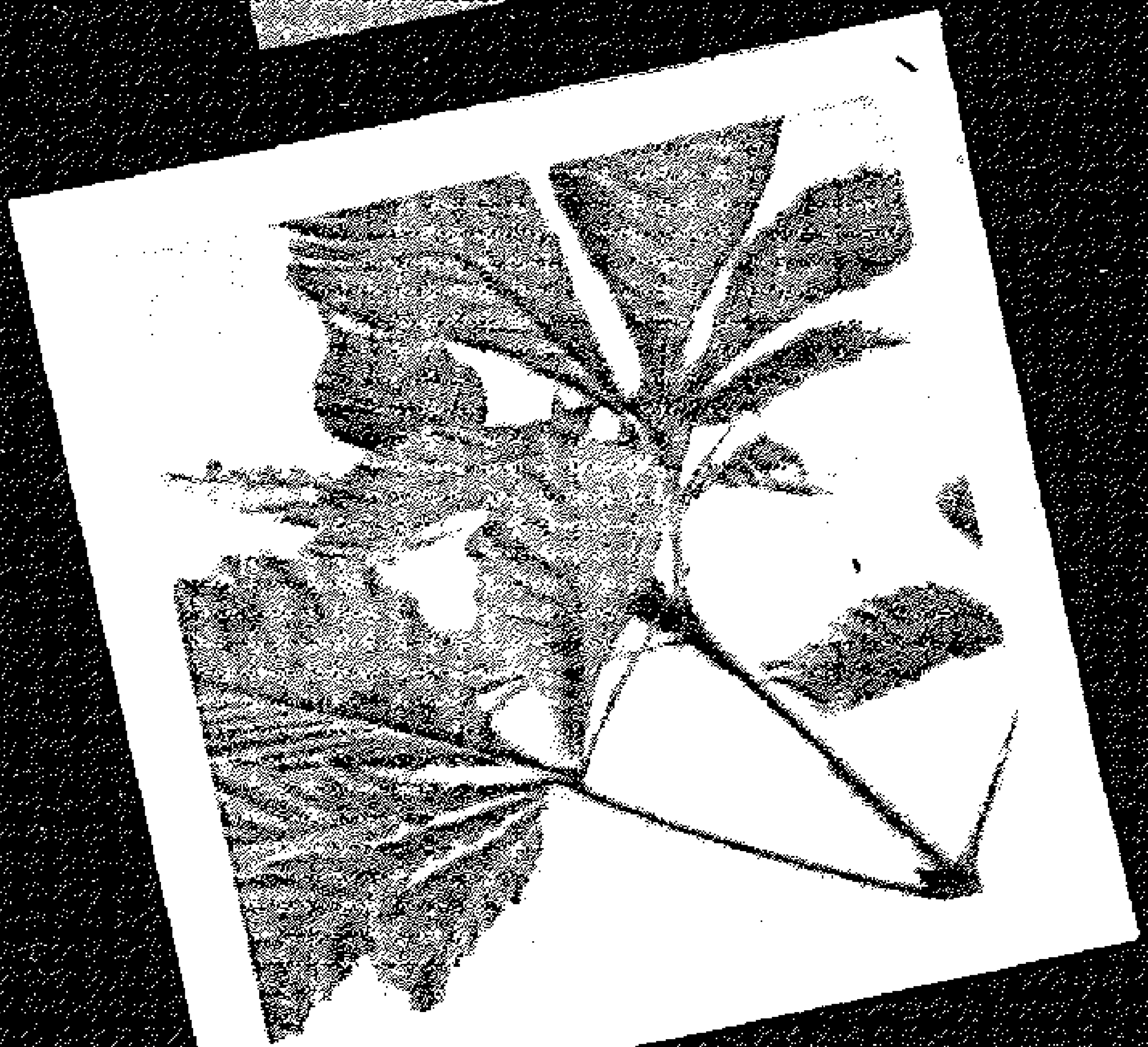

شعر

الدكتور محمد زكي العشماوي

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص. ب ٧٤٩

أزمنة في زمان

الدكتور محمد زكي العشماوي

أزمنة في زمان

شعر

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص.ب ٧٤٩

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يجوز طبع أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على الموافقة الكتابية من الناشر.

الناشــر

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر

الإدارة: بيروت ـ شارع مدحت باشا ـ بناية كريدية
تلفـون : 818704 ـ 818705
برقيـاً : دا نهضة ـ ص.ب: 749 ـ 11
تلفاكس: 232 ـ 4781 ـ 212 ـ 001

المكتبة: شارع البستاني ـ بناية اسكندراني رقم 3
غربي جامعة بيروت العربية
تلفون: 316202 ـ 818703

المستودع: بئر حسن، خلف تلفزيون المشرق
بناية كريدية ـ تلفون: 833180

الإهداء

أهلي وإخوتي وأبناء وطني ...

لا أمل إلا أن نحب بعضنا بعضا ..!!

بحيث يصبح كل فرد فينا شمعة تضيء طريق

الحياة الأخيرة للإنسان ..!!

هنا ..

سوف نعيش أحياء ..

وهنا ..

يتحقق انتصارنا على الموت

تقديم

يرى سقراطُ أَنَّ الحبَّ سعيٌ وراءَ الكمالِ. . .

ومن كلماتهِ التي قالها وهو جالسٌ حولَ مائدةِ إفلاطون:

«عندما نتطلعُ إلى مظاهرِ الجمالِ من حولِنا. . ونَبْقى في تأملنا لها. .

نرى أنفسَنا، شيئاً فشيئاً، قد سمونَا إلى الجمالِ الكاملِ؛ نلمحُ ضياءه. . عندئذ نُحِسُّ أننا قد دنونا من الحب. .

وفي الحق ليس الحبُّ إلا شوطاً نبدؤه بما فوقَ هذه الأرض من جمال. . ومع ذلك فإن البصرَ منعقدٌ طولَ الوقتِ بالجمالِ المطلقِ، ما يزالُ يرتفعُ إليه درجةً فدرجةً. . .

فمن جمالِ الأجسامِ إلى جمال المشاعرِ. . ومن جمالِ المشاعر إلى جمالِ الأفكار. وهكذا نتدرجُ في الإحساسِ بالجمالِ حتى نصل إلى المعرفةِ المطلقةِ التي هي إدراك الجمال المطلق. .

ذلك المثالُ الخالدُ الذي تمنحُ مشاهدتُه الحياةَ قيمتهَا».

هذا ما يقولهُ سقراطُ على مائدة إفلاطون. . .

وسواءٌ نطقَ بها سقراطُ أم قالها إفلاطون فالقول حقيقةٌ نؤمن بها. . .

ففي حياةِ دانتي مثالٌ صادقٌ على ما يقولُ سقراطُ حيث ثبت على حب بياتريس، تلك الفتاةِ الرائعةِ التي سحرته فإذا هي تستحيل رمزاً للإيمان. . وإذا هي تلوح له الجنةَ وقد انتشر من حولها ما تُشعُّه من ضياء، هي منه كالطائر من العش.

يقول دانتي:

«رأيتُها في ثوبِ أحمرَ جليلةً متواضعةً. . . تنم عن طفولة خالصة. . . فاهتزت في قباب قلبي الخفية روحُ الحياة، وسَرَت تلك الهِزَّةُ العنيفة بأوعية دمي، ما دَقَّ

منها وما جَلّ، وصاحت بي روحُ الحياة: ها هو ذا إله أقوى منك سلطاناً... ها هو ذا قادم، وإنه لمُخْضعُك. ومنذ ذلك الحين مازج الحبُّ نفسي التي أضحتْ أسيرَةً له».

ولا يهمنا بعد ذلك أن يقالَ إن دانتي الذي لم يستطع أن يظفرَ بالزواج من بياتريس قد تخبط في شهواتِ الحب، كما تَخَبَّط في شهوات السياسة حتى شقيت حياتُه، فإن الذي يعنينا أن بياتريس استطاعت أن تقودَ الرجلَ إلى المثال وحين ماتت طهّر موتُها حياتَه فاستحالت الفتاة ملاكاً يَهْدى الشاعر سبيل الكمال. وقالوا إنه منذ اليوم الذي فارَقَتْه فيه عاش حياة الشهداء، وظل صوتُها الذي انطلق إلى فؤاده يسيطر على كل شيء، بل ظهر تأثيرُه في كل علاقة حب عاشها بعد ذلك.

وإذا تركنا سقراط وإفلاطون ودانتي إلى شاعر الهند الكبير طاغور نجد أن صلة طاغور بهذا العالم الذي نعيش فيه لم تكن كلها صلة المتصوف الزاهد في الحياة، والراغب عما فيها من متع وجمال، بل هي

صلة رجل لا يقل حبه لهذه الحياة عن حبه لخالق هذه الحياة.

إنه ـ كما قال عنه أحد البنغاليين ـ أول قديسينا الذي لم يرفض أن يعيش، بل لقد تغنى بالحياة نفسها.. وهذا هو السبب في أننا نمنحه كل حبنا.

وهذا ما يفسر لنا كثيراً من شعر الحب الإلهي عند طاغور.. فهذا الشعر قد أخذ صوره من حياة العشاق، ومن حركات هذه الحياة وظروفها، خذ مثلاً صورة الفتاة التي تبحث في سريرها عن وريقات الزهر التي انفرطت من العقد الذي يحلّي عنق حبيبها، أو هذه العروس التي تترقب عودة سيدها إلى بيته الخالي؛ تجد أنها في الواقع صوراً صادرة عن قلب يتجه نحو الله... ولكنه في الوقت نفسه يعيش معنا في الأرض حتى إن العاشقين ليجدون في قصائده حياتهم وعواطفهم.

وثمة صور أخرى عند طاغور ترمز إلى حالات الانفصال والاتحاد لهذا القلب، مثل صور الأزهار والأنهار، وتفتح الصدَفة عما فيها، وحرارة يوليو

المحرقة مع مطرها الغزير. . . ثم صورة الرجل الذي يجلس في زورقه في النهر ينفخ في نايه، هي صورة شديدة الشبه بهذه الشخصيات المليئة بالغموض، التي تراها في بعض اللوحات الصينية. إنها قد ترمز للإله ذاته.

إن هذا اللون من الشعر يُخْفِي وراءَه حقيقة جديرة بالذكر وهي أن عاطفة الحب التي يشعر بها الإنسان نحو خالقه إنما تتسرب إلى نفوسنا خِفْيَةً عندما نتصل اتصالاً مباشراً بالطبيعة. . . فإذا رجع الإنسان إلى حياته اكتشف أن المتعة التي يُحِسَّ بها أثناء عبوره خلال غابة لم يشهدها من قبل، وأن النشوة التي تتملك نفسه عند وقوفه منفرداً في قمة جبل، وأنّ هذا الدعاء الغامض الذي يشتمل على الإنسان وهو يسترسل في حنينه إلى شخص يحبه؛ هو الذي يخلق فينا هذه العاطفة الخفية الحلوة التي تُدفىء القلب وتتجه نحو الله. . . . والتي يقول عنها ظاغور:

«تدخل القلب دون أن أدعوها إليه كأي عابر سبيل مجهول لي. . . لأنك أنت يا إلهي قد ختمت بخاتَم

الأبدية على هذه البرهة الخاطفة. . .».

ومن الشعراء الذي أُحِبُّ أن أَلْفتَ النظر إليهم في هذا المجال شاعر الفرس العظيم «حافظ الشيرازي» الذي كان له أعظم الأثر في نفسي، والذي لازمته منذ مطلع شبابي إلى اليوم. . . لا أفتأ أرجع إليه أرتوي من ينابيعه. . . فاقْرأ له ديوانه «غزل» فستجد أنه قد ارتفع إلى أعلى القمم في الوصول إلى لغة في الحب نادرة المثال، تكشف عن روح بالغة الحساسية والشفافية. . . يتدفق من خلالها كشلاَّل هادر. . . وتتفجر فيها مشاعره كبركان. . . وكأنه يصدر عن معين لا ينضب من الحب الذي يتجاوز به كل شيء، حتى لكأنه النهر الذي يفجر الحياة كلها، وما بعد الحياة، وتجد نفسك وأنت تقرؤه تسترسل في عاطفة من الحنين الدافىء الذي يصل الأرض بالسماء. . . ويرتقي بك إلى مراحل من السمو والصفاء تُقَرِّبُكَ من الله.

هذا الاتجاه في شعر الحب هو الذي أغناني حسّاً وروحاً، وكان له أثره الكبير في تكويني على المستويين الإبداعي والنفسي. . . فثمة التقاء روحي

بيني وبين هؤلاء العظام من الشعراء الذين كانت صلتهم بالحياة ليست مجرد صلة الاستطلاع العلمي أو المنفعة المادية بقدر ما هي صلة تقوم على الحب، مع قدر كبير من الشعور بالفرح والسلام.

وتمنيتُ يوماً ما أن أخطو مع هؤلاء خطوة على الطريق، وأن أحاول ما استطعت أن أعيش معهم وأسير في ركابهم، لكني ما زلت كالغواص العاثر الحظ... فلم أَستطع أن أصل بعد إلى ما وصلوا إليه من الدُّرّ واليواقيت... ولكني سأظل واقفاً على أعتاب هذا الباب... وهذا وحده يسعدني...

وحسْب هذه المجموعة الشعرية التي أقدمها اليوم للقراء أن تكون مجرد محاولة تبذل أقصى ما لديها في التقرب من نبض الإنسان والتوجه إليه. ولعل أوضح ما فيها أن بها حنيناً متصلاً إلى شيء لا يتحقق... حنيناً إلى المطلق المثالي أو إن شئت فقل هو الحنين إلى الامتلاء والاكتمال فنّاً ووجداناً... إنه في أعمق الأعماق ظمأُ كياني... ظمأٌ لا يرتوي... وليس له في هذه الحياة ما يرويه إلا مشاعر الحب التي يَفْرح بها

ولها، والتي تُعَوِّضُهُ عن كل ما يعانيه من النقصان والحرمان، والتي يعدها الطريق الوحيدة للخلاص والنجاة. وهي في ذات الوقت دعوة إلى أن نكون جميعاً أكثر حُنُوّاً بالإنسان وحُبّاً له وأكثر ابتهاجاً بالحياة، في محاولة لاستئصال أكبر قدر من الشر ودفع الأذى الكامن في أعماقنا والعالق بوجودنا الزماني عن أنفسنا وعن غيرنا.

من هنا مازج الحب نفسي وأصبحتُ أسيراً له، ولكنني لست شاعراً بالمعنى الضخم... وحصيلتي فيه قليلة... فإنني ما زلت على الأعتاب أتلمس الطريق... وإلاّ لكنتُ من أعظم الناس فَرَحاً.

لذلك أرجو أن يغفر لي القارىء، ويلتمس لمثلي العذر، فأنا على يقين أن المحاولة التي أقدمها لم تَصْفُ بعدُ تماماً من شوائبها... وهي تسعى جاهدة أن تكون أخفَّ وزناً، وأكثرَ شفافية، وأبعدَ نقاءً حتى تحقق أهدافها في الارتقاء إلى لغة الحب العليا التي تحمل في كلماتها معنى روحياً وكليّاً، والتي تليق بالتوجه إلى خالق هذه الحياة. نعم... ما تزال أمامنا

أشواط كبيرة لبلوغ هذه الغاية.

أما هذه التسمية التي أطلقتها على هذه المجموعة «أزمنة في زمان»، فذلك لأن هذه المجموعة قد كتبت في فترات مختلفة ومتعاقبة من العمر وفي أزمنة متباينة، ولكنها مع ذلك زمان واحد فيما تتضمنه وتنبىء عنه من إحساس واحد مهيمن... وموقف فكري موحد من السهل التقاطه من خلال خط فعل متصل بين هذه الأعمال.

هذا هو معنى الزمان الواحد الذي يجمع بين الأزمنة المختلفة ويُوَحِّد بينها.

وبعد، فإن صَادَف أن يكون في هذا الديوان ما يُعين ـ ولو للحظة ـ على تخفيف أَوجاع الإنسان، أوخلق برهة من الطمأنينة أو التأمل أو الإشراق والبهجة، فإنني أكون أسعد الناس حظاً.

محمد زكي العشماوي

بيــروت

عواصف الأصيل

مَنْزِلُ الْحَبيبِ بعَيدٌ بُعْدَ الْجَنَّة

الصَّيْفُ الأَخْضَرُ وَدَّعَني
وتَوَارَى الْحُبُّ. . تَوارَى الْخَيْرُ. . تَوارَى الإِنْسَانْ
مَنْ كَانَ يُصَدِّقُ أَنَّ الأَرْضَ سَتَفْقِدُ كُلَّ خُصُوبَتِها. .
وتزولُ حُقولُ الْحِنطَةِ والرُّمَّان. !!
مَنْ كَانَ يَظُنُ بأَنَّ الشَّمْسَ تَغِيبُ عن الأَكْوَان؟.
وَيمُوتُ النُّورُ. . يَمُوتُ الزَّهْرُ. . تَموتُ الأَلْوَان؟
حتَّى الصَّفْصَافِ الْغَافِي فَوْقَ مياهِ الأَنْهَارْ. .
احْتَرَقَتْ كُلُّ ضَفَائِرِهِ. .
وَانْقَطَعَتْ عَنه الأَمْطَارْ. .
لا نجم يُلألِىءُ. . لا أَقْمَار. . !!
والْجَوُّدُخَانٌ وَغُبَارْ. . .

وسَحَابٌ يُنْذِرُ بِالإِعْصَارْ!!
فاليومَ نَعِيشُ غصُورَ الْمِلْحِ
عُصُورَ الْقَهْرِ.. عُصُورَ دمارْ
فالْجَارُ يُهَدِّدُهُ الْجَارْ..
والنارُ تُؤَجِّجُها النارْ..
والنُّورُ الأَخْضَرُ وَدَّعَني...
مُذْ دَخَلَ الأَرْضَ مُلُوكُ الْجَانْ..
مُذْ ظَلَّ العَقْلُ حَبِيساً دَاخِلَ حُجْرَته الْبَارِدَةِ الْجُدْرَانْ!!
مُذْ تُرِكَ زِمَامُ الأَمْرِ إِلَى الشَّيْطَانْ!!
مُنذُ هَزِيمتِنا العَقْلِيَّةْ!!
وَضيَاعِ الفِكْرِ.. ضياعِ الحريَّةْ!!
مُذْ فَقَدَ الناسُ النُّطْقَ وفَقَدُوا الحِسَّ
وصارُوا مَوْتَى بِشَهادِاتٍ طِبيَّةْ...
مُذْ صَارَ «المورفين» هُوَ الأُمْنِيَّة المطلوبَةْ
حتَّى يَغْتَالَ الوَعْيَ.. ويَمْضِي بالإِنْسَانِ إِلَى ظُلُمَاتِ
الْغيبوبَةْ!!

مُذْ حَادَ العَالَمُ عَنْ فِطْرَتِهِ. . .
فافْتَقَدَ اللُّغَةَ المشْتَركةْ
مُذْ صِرْنَا نَبْحَثُ عَنْ وَطَنٍ في كُلِّ مكانٍ لا نَجِدُهْ. . .
مُذْ كَشَفَ العَصْرُ عَنِ الأَعْمَاقِ الوحشيَّةْ
في كَيْنُونَتنا الْعَبَثِيَّةْ!!
مُذْ ثقَبَ الأَعْدَاءُ غِشَاءَ بَكَارَتِنَا. . .
مُذْ صَارَتْ زَقْزَقَةُ الْعُصْفُورِ عَلَى نَافِذَةِ الْبَيْتِ جَرِيمَةْ. .
فَحْواهَا أَنَّى أتآمَرُ مَعْ عُصْفُور. . !؟

* * *

أَبْحَثُ عَنْ شِبْرٍ من أَرْضٍ لاَ تَرْقُدُ تَحْتَهُ. . .
قُنْبُلَةٌ نَاسِفَةٌ أو لُغْمٌ مُتَفَجِّر!!
أبْحَثُ عَنْ رُكْنٍ مُتَحَضِّر. . !!
مع مَنْ أتَعَامَلُ. . والْكُلُّ أَمَامِي أَشْبَاحٌ. .
قيمتُها عِنْدِي مَهْزُوزَةْ!!
فالْكِلْمةُ تتغيَّرُ في اليوم الْوَاحِدِ آلاَفَ المَرَّاتْ
«والْكِذْبُ يُبَثُّ عَلَى كُلِّ الْمَوْجَاتْ». . . !

مع مَن أَتَعاقَدُ، والكلُّ أمامي كالزِّئبقْ
رَجْرَاجٌ جداً هَذَا الزئْبَقْ!!
مِثْلَ بُطونِ الرَّقَّاصَاتْ!!

* * *

في هَذِي الأَرْضِ الْحُبْلى بالدَّهْشَةْ
لاَ شَيْءَ يقينيٌّ!!
فالْكِلْمَةُ قَدْ صارَتْ هَشَّةْ
تَسْقطُ يابِسَةً صَفراءْ
مِثْلَ القَشَّةْ!!
وسْطَ الأنْوَاءْ..
وَجَعي أنِّى أَحْيَا في كِذْبَهْ..
فالعْالَمُ مَهْزَلَةٌ لُعْبَةْ!!
السَّاعَةُ تَرْكُضُ مُسْرِعَةً تَلْتَهِمُ الْعُمْرْ...
والهمُّ جبالٌ تَرْزَحُ فَوْقَ الصَّدْرْ!!
وشُمُوعي ذابَتْ وَتَلاشَتْ تَحْتَ الجَمْرْ..!!
مَنْ يُخْرِجُني مِنْ هذَا الأَسْرْ!!

عافتْ نَفْسِي وَسَئِمَتْ العَصْرْ!!
بغَايَا العَصْرْ...

* * *

أبحثُ عَنْ أُنْثَى تُخْرِجُنِي مِنْ هَذَا العَصْر!!
أُنْثَى كَتَبُوا عَنْهَا في كُتُب السَّحْر...
أُنْثَى كَزُجَاجَةِ خَمْرْ...
تُفْقِدُنِي الْوعيَ وَتُنْسِيني..!!
تَجْمَعُ أشْتَاتِي تَحْمِينِي..!!
أُنْثَى في مِثْل جُنُونِي...
في مِثْلِ جُنُونِ الشِّعْرْ

* * *

أُنْثَى لاَ تعْرِفُنِي...
لاَ تَعْرِفْ حَتَّى عُنْوَانِي...
فأَنَا لاَ أَعْرِفُ اينَ مَكَانِي..!!

* * *

أُنْثَى لَمْسَتُها تُحدثُ زِلْزَالاً تَحتَ الْجِلْدْ...

أُنْثَى حاضِرَةٌ في الْقُرْبِ وفي البُعْدْ. . .

❊ ❊ ❊

في خَدَّيْها طَمْيُ النِّيلِ وَعِطْرُ التُّفَّاحْ. . .
لا تَقَعُ العيْنُ عَلَيْها حَتَّى تَرْتَاحْ!!

❊ ❊ ❊

أُنْثَى طَاغِيةُ الإغراءِ
تَقْتُلُني بِسَرِيرِ زِفافي. . .
مَثْلَ الْعَاصِفَةِ الهوجاءِ. . .
أُنْثَى مِنْ قَلْبِ الْوَاقِعْ. . .
لكنْ تتجاوزُ شَكْلَ الْواقِعْ. . .
أُنْثَى كالنَّجْمِ الساطِعْ. . .

❊ ❊ ❊

لَوْ قُدِّر لي أَنْ أعْشَقَها
أَتَدَافَعُ مَدّاً خَلاَّقاً يتواكبُ صَوْبَ الأَبَدِيَّةْ.

❊ ❊ ❊

لَوْ لَمَسَتْ شَفَتي شَفَتَيْها

أمْتلِكُ الكرةَ الأَرْضِيَّةْ. . .
وَتَغِيبُ عَنِ الأَرْضِ بلادٌ. . . وتلوحُ بلادْ. . .
يتغيَّر شَكْلُ الْمَدَنيَّةْ. . .
تَنْحلُّ العُقَدُ النَّفْسِيَّةْ!!
وأَعَانِقُ وَاقِعَي الآخَرْ. . !!
أتوحَّدُ شَكْلاً وَهوِيَّةْ. . .

* * *

لَوْ ذُقْتُ رَحِيقَ رُضَا بِهما
لاَ أَضْمَنُ أَنْ أَخْرُجَ حَيّاً. . !!
فالْمَوْتُ أَحَبُّ إِليَّا. . !!
حُمْقٌ أَن أَتْركَ هَذَا الثَّمر الْعَالِق
ما بَيْنَ الشَّفتَيْنِ. . .
فَهُنَاكَ سَأَحْيَا. . !!

* * *

فأَنَا الأَشْوَاقُ تُحرِّكُني مُنْذُ سِنِينْ. . .
كَيْ أَسْتَوْعِبَ أَسْرَارَ الْحِكْمَةْ. . .

أَسْبُرَ أغوارَ الغِبْطةْ
في هاتين الْعَيْنَينِ الْمُبْحِرَتَيْنِ إِلَى آفَاقٍ صُوفِيَّةْ...

* * *

سَأَظَل أُفَتِّشُ عَنْ صَاحِبَةِ الْعَيْنَين الْلُؤلُؤَتينْ...
وَسَأَخْرُجُ مَعَها في رِحْلاَتٍ كَشْفِيَّةْ!!
نَتَجَّولُ.. نَلْعَبُ.. نَرْكُضُ بين الأَقْمارْ...
نَتَحَكَّمُ في سَيْرِ الأَقْدارْ..!!
وَنعودُ قُبَيْلَ الفَجْرِ إِلَى غُرَفْتِنَا الْقمَرِيَّةْ...
تَغْمُرُنَا النَّشْوَةُ وَالأَفْرَاحُ الْوَرْدِيَّةْ!!
حَيْثُ الْهَمَسَاتْ....
هَمَسَاتُ الْعُشَّاقِ اللَّيْلِيَّةْ...
وَهُنَاكَ سَأَطْلُبُ مِنْ رَبِّي...
أَنْ يُوقِفَ عَقْرَبَ سَاعِتنا...
لتدومَ لنَا تِلْكَ اللَّحظَاتُ الكَوْنِيَّةْ...

* * *

بالْمَرأَةِ أَوْ بِالشِّعْرْ

تَزْدَادُ مِسَاحَاتُ الرؤيةِ وَالْكَشْف . . .
تَزْدَادُ الحريَّةْ . . ! !
يَنْجُو الإِنْسَانُ مِنَ الْخَوْف ! !
يَنْقَشِعُ الزَّيْفْ . . ! !
بالمرأةِ أوْ بالشِّعْرْ . . .
يقْتَرِبُ الإِنْسَانُ مِنَ الجَنَّةْ . . .
يَتَّطَهَرُ مِنْ أدْرَانِ المِحْنَةْ . . .

* * *

قَدَرِي أَنْ أَحْيَا مَحْكُوماً بالْحُلْمِ
وَمَجْبُولاً بِالأَرْض . . ! !
قَدَرٌ مَحتومٌ لا يُجْدِي إِذْعَانٌ مَعْهُ أَوْ رَفْضْ
فأنَا مَجْبُولٌ بالأَرْضْ . ! !
أيْ مَا يَجْرِي تحْتَ الْقَدَمِ . . ! !
لاَ مَا يَمْشِي فَوْقَ الرَّأْسْ ! ! . .
وَأَنَا في هَذَا مِثْلُ النَّهْرِ . . ومِثْلُ الطَّيْرِ . . ومِثْلُ الْغُصْنْ ! ! . .

وبرَغْم ضَيَاعي في الْعَتْمَةِ وَالسِّجْنْ . . !!
فأَنَا مَوْصُولٌ بِاللهِ . . !!
ووثيقُ صِلاَتِ بالحُسْنْ . . !!
وخَلاَصِي إنْ كَانَ خَلاَصْ . . .
فَأَنَا أَلْمَحهُ في شَيْئينْ . . .
في العِشْقِ وفي الْفَنْ . . .
يَنْبُوع الْغِبْطَة أَنْ أتَوحَّدَ مَعْ هَذَيْنْ . . !!
بِهِما أمْشَي فَوْقَ الأَمْواجِ
فَلاَ شَيْءٌ يُقْلِقْ . . .
بِهِما أعْلُو فَوْقَ المَنْطِقْ . . !!
أكْتَشِفُ السِّرَّ أُحَقِّقُهُ . .
وأطولُ الْغَيْبَ أُعَانِقُه . .
وتَتِمُّ الوَحْدَةُ بَينَ الْوَاقِعِ والممكِنْ!! . .
بَيْنَ الزَّمَنيِّ
وَبَيْنَ المُطْلَقْ . . !!

بيروت ١٩٨٤

أَرَاكِ فأنجو من الموت...

(١)

إِذَا مَا شِفَاهُكِ فَوْقَ شِفاهِي
تكُونُ حَيَاتي كَريشِ نَعامِ
ويُصْبحُ حبي رَسُولَ سَلاَمِ
وسِرْبَ حَمَامٍ...
إِلَى العالمين...!!

(٢)

فَمُذْ غِبْتِ يَا زَهْرةَ اليَاسمينْ
مَشَى عَن رُبُوعي النَّهارْ...
وجَفَّتْ مياهُ البِحَارْ...

ومات على أَرْضِهِ السنديانْ. . . .
وحلَّ مَحَلَّ الهواءِ الدُّخَانْ. . .
ولم يَبْقَ فِي الأَرْضِ إلاَّ الْوُحُوشْ. . .
وَإِنْسَانُ هَذَا الزَّمَانِ أميرُ الْوُحُوشْ
يقولونَ فِي كَوْكَّبِ الأَرْضِ إِنَّ الْحُظُوظَ تطارِدُنَا في الحياةِ. . .
بغير انقِطَاعْ. . .
ويُعْزَى إِلَيْهَا الضَّياعْ. . .
وَأَوْلَى بِنَا أَنْ نَقُولَ الصِّرَاعْ. . .
صِرَاعُ الذِئَابْ. . .
وإِنْسَانُ هَذَا الزمانْ
هو السِّرُّ في كُلِّ هَذَا الضَّيَاعْ. . .

(٣)

فكم سوف أبقى هنا في العراءْ. . .
وكَمْ سَوْفَ أَحْتَاجُ نَاراً وَمَاءْ. . . .
وكم سوف يَلْزَمني من بُكَاءْ. . .

لِتهْدأَ نفْسِي . . !!

(٤)

وَوَجْهِي كِتَابٌ تآكَلَ مِنْ عَبَثِ الْمُسْتَحِيلْ . . .
وَقَلْبِي قَتِيلْ . . .
وبينَ يَدَيَّ طريقٌ طَوِيلْ . . .
وَقَيْدِي ثَقِيلْ . . .
وَفَرَّتْ طُيورْ
وَجَفَّ الغمَامْ . . .
وَعَمَّ الخْرابُ الذي لا نَرَى . . .
خَرابٌ مِنَ الْقَاعِ حَتَّى الذُّرَى . . .
فَكُلُّ الدُّرُوبِ سَرَابْ . . .
وبينَ ثَنَايَا الْعُقُولِ ضَبَّابْ . . .
وَأَبْقَى سُؤالاً بِغَيْرِ جَوَابْ . . .

(٥)

لَنَا أَلْفُ عَامٍ هُنَا نَرْتَجِفْ . . . .
نَنَامُ بِلاَ حَائِطٍ أَوْ جِدَارْ . . .

وَيَكْتَسِحُ الْعَالَمِينَ الدَّمَارْ. . .
ولَيْسَ لَنَا فِي الأُمورِ خِيَارْ. . .
وفَاتَ الأَوَانْ. . . .
فَفَجْرُ الْبِلادِ سَوَادْ. . .
وَنَوْمِي سُهَادْ. . .

(٦)

وحينَ يُساوي الْوُجُودُ الْعَدَمْ
وأوقِنُ أَنَّ نَهَاري نَدَمْ. . .
وليلي نَدَمْ. . .
ويَوْمِي وَأَمْسِى طُيُورٌ جَرِيحَةْ. . .
وَدُنْيَا كَسِيحَةْ. . .
وَحِينَ أَعُودُ لِجَمْعِ الغنَائِمْ
وَأَعْلَمُ أَنَّ ثِماري جَرَائِمْ. . .
وَحِينَ تَخِيبُ الحياةْ. . .
وَأَبْحثُ عَنْ حِيلَةٍ لِلنَّجَاةْ
أُفَتِّشُ عَنْكِ بِكُلِّ قُوايَا. . .

أَجُولُ عَلَيْكِ جَمِيعَ الزَّوَايَا . . .
فَعَنْدَكِ أَحْظَى بِأَغْلَى الْهَدَايَا . . .
وَأَشْهَى الهدايا . . . .
وَأعْلَمُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ حُبْلَى هُنَاكْ
بِأَحْلَى رَحِيق . . .
وَأَنْدَى رَحِيقْ . . .

(٧)

فَيَا زَهْرَةَ اليَاسَمِينْ . . .
لِمَ الْبُعْدُ . . ؟ كُونِي قَرِيبَة
فَأَنتِ الحياةُ . . . وأنْتِ النجاةُ
وَأنْتِ الحبيبةْ . . .
تَعَالَيْ إلَيَّ وَلاَ تَنْدَمِي . . .
فَمَنْ ذَا الَّذِي أرْتَجَى رَحمتَه
إِذَا أنْتِ لَمْ تَرْحَمِي . . .
أدُقُّ عَلى حَائِطِ اللَّيْلِ . . . لا تَسْمَعِين
ولا تَفْتَحِينْ . . . !

لِمَ الْبُعْدُ.. كُونِي بِقُرْبي....
بِقَلْبِي تعيشينَ أَجْمَلَ حُبِّي....
ولا تَعْلَمين..!!

(٨)

أَجِيء أَنَا أَوْ تَجِيئِينَ أَنْتِ
فَلاَ بُدَّ يَوْماً مِنَ المُلْتَقَى...
وإلاَّ أَمُوتُ شهِيدَ الظَّما
وَيَبْقَى الجَفَافُ، وَيَبْقَى التَخَبُّطُ
يَبْقَى العنا...

(٩)

عَلَى شَفَتَيْكِ طَرِيقُ الخُلُودْ...
وسِرُّ الْوُجُودْ...
أخيراً.. وَجَدْتُ الطريقْ...
عَرَفْتُ الحقيقَةْ...
تَمَنَّيْتُ أَلاَّ أُضِيعَ دَقِيقَةْ...
سَأَرْكُضُ رَكْضاً...

لأَنِّي اكْتَشَفْتُ الحقيقَةْ . . .
سَأَرْكُضُ رَكْضاً . . .
لأَرْقى إِلَيْكِ . . وأَبْقى لَدَيْكِ
أُرِيحُ جَبِيني عَلَى سَاعِدَيْكِ . . .
وأَجْعَلُ بَيْنَ يَدَيَّ يَدَيْكِ
فأنتِ البِدَايَةْ . . وأَنْتِ النِهَايَةْ
وَليس سِوَاكِ طَرِيقاً وغايَةْ

(١٠)

لأَنِّي أُحِبُّكِ . . .
أَيْقَنْتُ أَنِّي
إِذَا مَا ضَمَمْتُكِ يَوْماً لِصَدْرِي . . .
سَأُبْعَثُ حَيّاً . . .
بِكُلِّ اليقينِ سَأُبْعَثُ حَيَّاً . . .
وَيَجْرِي الرَّبِيعُ على وَجْنَتَيَّ . . .
وَفِي مَقْلَتَيَّ . . . .
وَيَخْضَرُّ مِنِّي الذُّبولُ . . .

وَتُكْسَى الْحُقُولُ. . .
وَيَنْجَابُ عَنْ نَاظِرِيَّ الدُّجَى. . .
ويختالُ تَحْتَ خطَايَ الثرى. . .

* * *

وتغدو حروفي كريش نَعَامِ
وَيُصْبِحُ حُبِّي رَسُولَ سَلاَمِ
وَسِرْبَ حمَامِ
إِلَى الْعَالَمِين. . .

بيروت في ١٤/ ٢/ ١٩٨٥

لاَ تَغِيبِي...

(١)

وَثَبَ الْقَلْبُ بِصَدْرِي كفَرَاشَةْ
حين قالوا:
هَذِهِ سَمْرَاؤُكَ الْحُلْوَةُ عَادت!!

(٢)

عَادَ مَنْ فِي مهجة الْقَلْبِ زَرَعتُهُ...
ومَعَ الْحِرْمَانِ وَالنِّسْيَانِ وَالصَّبْرِ انْتَظَرْتُهْ...
والَّذِي أسْأَلُ عَنْهُ بَيْنَ سُكَّانِ الْكَوَاكِبْ...
وَلَكَمْ حَاوَلتُ ـ كَيْ أَلْقَاهُ ـ أنْ أرْقَى
إِلَى أَرْضِ الْعَجَائِبْ....

(٣)

كَيْفَ سَمْرَائِي جَاءَتْ. . . ؟ كَيْفَ عَادَتْ. . .
فَرْحَةُ الْعُمْرِ وَإحدَى الْمُعْجزَاتْ. . .
لَحْظَةٌ لَيْسَتْ كَكُلِّ اللَّحظَاتْ. . .
لَحْظَةٌ تبقى إِذَا الْعَالَمُ مَاتْ. !
لحظةٌ في اللَّوْحِ كَانَتْ قَبْلَ عَصْرِ التَّسْمِيَاتْ. . .
صَوْتُها الْحُلْوُ الذي يَقْتُلُنِي
سَوفَ يُحْيِينِي مِئاتٍ. . . ومِئَاتْ. . .
فَأَنَا أُحْييتُ وَاسْتُشْهِدْتُ
واسْتُنْزِفَ عُمْرِي قَطَراتْ. . .
عِطْرُهَا هذا الذي أعْرِفُهُ
قَدْ بَدَا يَنْسَابُ مِنْ كُلِّ الجِهَاتْ
هَزَّ فِيَّ الرّوحَ مِنْ أَرْكَانِهَا. . .
وَتَلَعْثَمْتُ، فَلاَ أَدْرِي مَعَانِي الكَلِمَاتْ. . .

(٤)

كَمْ مِنَ الأَيَّام تمْضِي. . .

وأَنَا أَشْتَاقُ. . . كَمْ أَشْتَاقُ. . لاَ أَحْظَى بِرِى. . .
فإِذَا الأَيَّامُ تَصْفُو، وَإِذَا الوَقْتُ نَدِيّ. . .
وَإِذَا الأَفْرَاحُ مِثْلُ الغَيْثِ تَنْهَلُّ عَليّ. . .
إِنَّهَا سَمْرَائِيَ الْحَلْوةُ قَدْ عَادَتْ إِلَيّ. . .
نَاوَلَتْنِي يَدَهَا في خَجَلٍ
فتَلَهَّفْتُ لِكَيْ أَمْلأَ مِنْهَا رَاحتَيّ. . .
آهِ. . يَا أَجْمَلَ حُلْم سَاقَهُ الله إِلَيّ. . .
كُلُّ شَيءٍ هَا هُنَا مِلْكُ يَدَيّ. . .

(٥)

وَتَراءَتْ مِثْلَمَا يَطْلُعُ فَجْرُ. . .
وتَهَادَتْ كالْحَمَامَةْ
طَلْعَةً تَنْدَى نُعومَةْ. . وَوَسَامَةْ
وَعَلَى الوَجهِ الحريريِّ ابْتِسَامَةْ
وتلاقَتْ شَفَتَانِ
كانَتَا تَرْتَعِشَانِ
هَزَّتا الأَبْعادَ

أبْعَاد اَلَّزمَانِ والمْكَانِ

(٦)

وعُيونٌ أيْنما نَحْنُ جَلَسْنَا. . .
تَحْتَوِيني كَينَابيع حَنَانِ. . .
أرْشُفُ الرَّشْفَةَ مِنْ بُنِّهِما. . .
أمْ تُرَانِي أحْتَسي مِنْ خَدِّهَا هذَا النَّبِيذَ الأُرْجُوَانِي. . .
أَعْيُنٌ قَدْ ألهمتني. . .
رِعْشَةَ الشِّعرِ وَإِبْدَاعَ الْقَصِيدَةْ. . .
كُلَّما أبْحَرْتُ فِي أمْواجِها
زَوَّدَتْنِي بِثَقَافاتٍ جَدِيدَةْ. . .
فعَلَى أَهْدَابِ عَيْنَيْهَا حكَايَا من أَسَاطِيرِ الْقُرُونْ
مَضَتِ الأيَّامْ، بَلْ تَمْضِي السُّنُونْ،
قَبْلَ أَنْ أَقْرَأَ مَا تَكْتُبُهُ هِذِي الْعُيُونْ!!
هَذِهِ الفِتْنَةُ دُنْيَا مُسْتَحيلَةْ. . .
فَمتَى يُسْمَحُ لي أَنْ أَرْتَوِي مِنْ هذِهِ الْخَمْرِ الأَصِيلَةْ. . .
ولماذَا أَنَا مَحْرومٌ ومَعْزُولٌ عَنِ الدُّنْيَا الجميلةَ؟

ولماذَا لَيسَ تُجْدِي غَايةٌ في الْقُرْبِ مِنْهَا أو وَسِيلَةْ. . .

(٧)

قَبْلَ أَنْ تأْتِي إِلَى هَذَا المْكَانْ. . .
لا يُسَاوِي الْعُمْرُ شَيئاً وَالزَّمَانْ. . .
إِنَّهَا أَنْتِ الَّتِي قَد فَجَّرَتْ سَاعاتِ عُمْرِي والثَّوَانْ. . .
قَبْلَهَا لم أَعْرِفِ النَّارَ التي تَغْتَالُ هَذا القَلْبَ، تَجْتَاحُ الْكِيَانْ
لم أكُنْ غيرَ هَبَاءٍ وَرَمَادٍ وَدُخَانْ. . .
كُنْتُ مَنسِيّاً وَمَغْمُوراً وَمَفْقُودَ الْحَنَانْ. . .
كُنْتُ قَدْ ضِقْتُ بأَيَّامِي. . وبالْعَيْش وَقَاراً وَاتِّزَانْ!!
صِرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ، مِثْلَ الرِّيحِ، مِثْلَ الخَيْلِ مُنْسَابَ العِنَانْ. . .
خَبِّرُونِي. . . كَيْفَ أَصْبَحْتُ بِهَذَا الْعُنْفُوَانْ. . . ؟

(٨)

يَبْدأُ الْعُمْرُ مِنَ اليوم الَّذِي تَقْتَرِحِينْ. . .
فَتَعَالَيّ نَقْطَع الشَّكَّ وَنَسْتَبْقِ اليقينْ. . .

فَأَنَا أُولَدُ في الْيَومِ الَّذِي تَقْتَرِحِينْ. . .
فَمَتى يَبدأُ هذا اليَومُ. . . إِنِّي في اشتياقِ أَنْ أراهْ
سَاعِدِينِي. . كيْ أَرَى نُورَ الحياةْ. . .

(٩)

مُنْذُ أيامِ طَوِيلَةْ. . وَثَقِيلَةْ. . .
تتَلَظَّى الرُّوحُ مِنْ أشْوَاقِها كالْمُسْتَجِيرَةْ. . .
وأَنَا أَزْحَفُ فِي هَذِي الثُّقُوبِ المُستَدِيرَةْ. . . والضَّرِيرَةْ!!
أعْطِني الْقُدْرَةَ كَيْ أَخْرُجَ مِنْ هَذِي الثُّقُوبِ الْمُسْتَدِيرَةْ!!
رُبُما كُنتِ قَدِيرَةْ. . .
أَنْ تُزِيلِي قَسْوَةَ الْعَالَمِ فِي هَذَا الزَّمَانْ!!
إِنَّهَا أَنْتِ الَّتِي يُمْكِنُهَا. . .
أَنْ تُعِيدَ الفَرَحَ الضَّائعَ مِنِّي والأَمَانْ. . .

(١٠)

إِنْ تَغِيبي الْيومَ عَنِّي •
ضَاعَ كُلُّ الْعُمْرِ مِنِّي!!
لاَ تَغِيبِي!!

كُلَّ يَوْمٍ أنْتِ تَمْضِينَ وَأَبْقَى!!
لَسْتُ بَعدَ الْيَوْمَ أَقْوَى!!
لاَ تَغِيبِي!!

* * *

آهِ لَوْ تَدْرِينَ مَا مَعْنَى الوَداعْ.. وَالضَّيَاعْ!!
وليالٍ يَنْهَشُ الحِرْمَانُ مِنْ لَحْمِي وَتقْتَاتُ السِّبَاعْ!!
إِنْ تَغيبي.. يتَهاوَى الْحُلْمُ في طَيَّاتِ رِيحٍ عاتِيَةْ
إِنَّهَا إِنْ عَصَفَتْ بِي طَوَّحَتْنِي...
وَكَمِثْلِ الذِكْرَيَاتِ الخالِيَةْ...
كَوَّمَتْنِي فِي زَوَايا الأَقْبِيَةْ...
لاَ تَغِيبِي...
هَلْ مِن المَعْقُولِ أَنْ نَمْضِيَ فِي هَذَا الْهَوَى كَالْغُرَبَاءْ؟
أَمْ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ يَبْقَى الهوَى حَيّاً بِلاَ قَطْرةِ مَاءْ!!
فلمَاذَا أَنَا مَجْنونٌ، وعَيْنِي لاَ تَرَى غَيْرَكِ مِنْ بَيْنَ النِّسَاءْ....
لاَ تَغِيبِي...

* * *

لَيْتَنِي أَقْدِرُ أَنْ أَدْنُوَ مِنْ ثَغْرِكِ أَكْثَرْ. . .
إِنَّ حِبِّي لَكِ أَقْوَى مِنْ مَسَافَاتِي وَأَبْعَادِي وَأَكْبَرْ
وَهْوَ ـ غِبْتِ أَوْ قَرُبْتِ ـ ثَابِتٌ لاَ يَتَغَيَّرْ. . .
لاَ تَغِيبِي. . .
إِنْ تَغِيبِي الْيومَ عَنِّي
ضَاعَ كُلُّ الْعمْرِ مِنِّي
لاَ تَغِيبِي. . .

يوليو ١٩٨٤

أَشْوَاقٌ بِلاَ شُطْآنْ . . .

(١)

عِنْدَ الرَّبِيعِ مَعَ الزُّهُورِ . . .
وَقُرْبَ أَعْشَابِ الْغَدِيرْ . . .
سَيُعَاوِدُ الْعُصْفُورُ نَقْرَتَهُ لِسُنْبُلَةِ الشَّعِيرْ
وَسَتَنْتَشِي كُلُّ الْقُلوبِ
من الكبير إلى الصغيرْ . . .
بَلْ سَوْفَ تُوشِكُ أَنْ تَطيرْ ! !
وَكَذَاكَ شَرْنَقَةُ الحرِيرْ . . .
قَدْ هَلَّلَتْ . . وَتَفَتَّحتْ . . .
مشتَاقَةً لِلحُبِّ . . لِلْكَوْنِ النَّضِيرْ . . .
وجميعُ مَنْ فِي الأَرْضِ يفْتَحُ قَلْبَهُ لِلآخرِينْ . . .

وَيَرُوحُ يبذلُ نَفْسَهُ لِلْعَابرِينْ. . .
يُعْطِي بِكُلِّ سَمَاحَةٍ. . يُعطِي الكثيرْ. . .
فالْعِشْقُ وَالْغُفْرَانُ كالْمَطَرِ الْغَزِيرْ. . .
وكأنَّما الدُّنْيَا تَسِيرُ كما نَسِيرْ. . .
وَكأنَّما وَصَلتْ مَشَاعِرُنَا لمُفْتَرَقٍ خَطِيْر. . .
فالكُّل يَعْرِفْ أَنَّهُ قَدّ مَاتَ عَهْدُ الزمهرِيرْ. . .
وَتَدَّفَّقُوا فِي نَشْوَةٍ يَسْعَوْن للزَّمَنِ المُثِيرْ. . .
لِلِقَاءِ حُبِّهِمُ الْكَبيرْ. . .
يَتسابَقُونَ. . . مُهلِّلِينْ
فَالله في عَلْيَائِهِ قَدْ بَارَكَ الحبَّ الكبيرْ. . .
وَجَميعُهُم بجوارِ مَخْدَعِهِ الْوثيرْ. . .
في زَوْرَقِ اللَّيْلِ المُضَمَّخ بالْعَبِيرْ. . .
يَتعانَقُونَ. . . وَيَنعَمُونْ. . .
في زَوْرَقِ اللَّيْلِ المضمَّخ بِالْعَبِيرْ. . .

(٢)

وَسَتَفْتَحُ الْعَذْرَاءُ نَافِذةً وَتَنْتَظِرُ الرَّفِيقْ. . .

أَمَلٌ يُدَغْدِغُ رُوحَهَا. . .
أَمَلٌ يَقُولُ بأَنَّ فَارِسَها الْوسِيمَ عَلَى الطريقْ. . .
وَتَظَلُّ ترقبُ صُورةَ لِحَبيبِها فَوْقَ الجِدَارْ. . .
وَجميعُ مَا فِيهَا انْتِظَارْ. . .
فَخُطُوطُ وَجْهِ حَبِيبِهَا. . .
مَنْسُوجَةٌ فِي قَلْبِهَا
مَغْسُولَةٌ بِدُمُوعِهَا. . .
وَعُيُونُها نَبْعا حنَانْ. . تَوَّاقَتَانْ. . .
لِعَشِيَّةٍ رَيَّا الْهوَى. . .
أَزَلِيَّةِ الأَبْعَادِ وَالصَّبواتِ
تَعْزِفُ لِلْمُنَى
وَتَغُوصُ فِي أُفُقٍ مِنَ اللَّذّاتْ
فقوامُها مَنْظومَةٌ تَحكي القصائدَ أُغْنِيَاتْ
مَيَّادَةُ الأَعْطَافِ تَقْطُرُ نَشْوَةً
خُطُوَاتُها كَالْعَزْفِ كالنَّغمات

(٣)

لَيْلُ الْمُحِبِّ تَدفقٌ وَهَيامُ
شَلاَّلُهُ باكي العيونِ
وَوَجْهُهُ بَسَّامُ. . .
وَعَلَى الأَصَابعِ رِعْشَةٌ. . .
وَعَلَى الشِّفَاهِ تَسَاؤُلٌ
سِيَّانِ طَالَ ظَلاَمُهُ أَوْ لَمْ يَطُلْ. . .
نَارُ الْهَوَى في وَجْنَتَيْهِ تَشْتَعِلْ. . .
نَبْضٌ يُعَرْبِدُ في الْوَرِيدْ. . .
أقوى مِنَ الْقَدَر الْعَنِيدْ. . .
فأمامَ سُلْطَانِ الْهَوَى
لا شَيْءَ يَنْفَعُ أَوْ يُفِيدْ. . .
بل لَيْسَ تَمْلِكُ أَنْ تُريدَ ولا تريدْ!!

(٤)

قد بَاتَ يَقْتُلُها الظَّمَا
لا شيء يُجْدِي. . . لا مِيَاهَ وَلا بحارَ

ولا سَمَا...
لاَ ترْتَوي إلاَّ بأنسامِ الْهَوَى...
لاَ تَلْتَقي بِزَمَانِها...
إلاَّ إذَا هِيَ عَانَقَتْ عِطْفَيْهِ...
أَوْ ضَمَّتهُ بَيْنَ نُهُودِهَا...
إلاَّ إذَا عَادَ الَّذِي قَدْ بَاتَ سِرَّ وُجُودِها
لاَ شيءَ يُمْكنُ أَنْ يُحَرِّرها سواهْ...
فبِدُونِهِ تَبْقَى الحياةُ بِلاَ حَيَاةْ...

(٥)

فمتى يَعُودْ؟
أَمَلٌ يُهَدْهِدُ رُوحَهَا...
أَمَلٌ يَقُولُ لها، بأنَّ حَبِيبَها:
لا بُدَّ يوماً أنْ يعُودْ...
فهو الذي من حَقِّه يَحْتَلُّ كُلَّ مِسَاحَةٍ
مِن جِسْمِها المَنسُوجِ مِنْ قَصْفِ الرُّعُودْ
ومِنَ الوقوذْ.. فَمَتَى يَعُودْ..؟

ليُعِيدَ لِلْقَلْبِ الأَمَانْ. . .
ويعودَ يَزْرعُ بَيْنَ جَنْبَيْهَا السَّلاَمْ. . .
وستَخْتَفِي لُغُةُ الْكَلاَمْ. . .
فعِناقُهُ كلُّ الكلامْ
أَحْلَى الْكَلاَمْ. . .
سَيكُونُ حَدّاً فَاصِلاً
بَينَ التَوهُّجِ وَالظَلاَمْ. . .
ويكون سَيْفاً قَاطِعاً. . .
يَغْتَالُ أَهْوَالَ الْمَكَانْ. . .
يَجتَثُ كُلَّ الْخَوْفِ
مِنْ جَسَدِ الزمانْ

(٦)

وتَظَلُّ تَرْقُبُ زَوْرَةً لحبيبِها. . .
وتقول في أَعْمَاقِها:
سَأَرَاكَ عِنْدِي في الْغَدِ. . .
عَجِّلْ وَلاَ تَتَرَدَّدِ. . .

فربيعُ عُمْرَيِ سَوْفَ يُفْلِتُ من يَدِي

(٧)

أَكَذَاكَ أَنْتِ حَبِيبَتي. . .

مَعْبُودَتِي. . .

لا تَرْضَخِينَ لِدَعْوَتي. . .

وتُؤَجلِينَ. . . تُرَاوِغينْ. . .

ونَسِيتِ أَنَّكَ قَدْ وَعَدْتِ

وَقُلْتِ سَوْفَ تَرَيْنَني. . .

عِنْدَ انْفِتَاحِ السَّوْسَنِ. . .

فَمتَى سَأَجْرِي خَلْفَ مَوْعِدِكِ الْهَنِيّ!؟

وَأَنَالُ مِنْكِ هُنَيْهةً

هِيَ كُلُّ ما تَهَبُ الحياةْ. . .

وهيَ الصَّلاَةْ. . .

وهِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الإِلَهْ. . . .

وهيَ الأَنَا وَالأَنْتِ

في أَشْوَاقِنا نَحْوَ الكمالِ وَالاكْتِمالْ. . .

وهِيَ الْخُرَافَةُ والخيالْ . . .
لكنَّها أقْوَى مِنَ الحقِّ المبينْ،
ومِنَ اليقينْ . . .
وهِيَ الأَشَارَةُ، والبِشَارَةْ
وَلِذَا فَلاَ تتعَجَّبي
أَنْ يَذْكُرَ التارِيخُ يومَ لقائِنا
وَيَعُدَّهُ فَجْرَ الحضارَةْ . . .

(٨)

الصَّبْرُ باتَ بلا أَمَلْ . . .
والصَّمْتُ أَثْقَلُ من جبَلْ
أَيْنَ الذي يحكي معي . . .
أحْكِي معَهْ؟
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْوِي إليَّ فأسْمَعَهْ؟ . . .
أحْلَى نِسَاءِ الْعَالِمينْ . . .
لا شيءَ يُقْنِعني سِوَاك
فإلَى متى سَأَظَلُّ أَلْهَثُ كَيْ أَرَاك

وغريبُ ما في الأمرِ أنَّكِ هَا هُنَا
لا تبْرَحِينْ. . .
وبِدَاخِلي تتَحَرَّكِينْ. . تَتَطَوَّرِينْ. . .
وإِذَا الْتَفَتُّ وَجدْتُ أَنَّكِ
في الْحَنَايَا تَرْقُدِينْ. . .
وكأَنَّنَا رُوحَانِ مُنْفَصِلاَنِ مُتَّصِلاَنْ
هذا التَّوَحُّدُ وَالتَّفَرُّقُ في المكانِ وفي الزَّمَانْ
يَتزَامَنَانْ. . . وبدَاخِلِي يَتَصَارَعَانْ
شَيْءٌ عَجِيبٌ لاَ رَأَتْ عَينٌ لَهُ مَثلاً
وَلاَ سَمِعَتْ به أُذُنَانْ. . .
وأنا الضَّحِيَّةُ والجنون
إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أكونَ وَلاَ أَكُونْ. . !!
مَنْ ذَا يُقَرِّبُنِي إِلَيكَ. . .
وأنْتَ تَدْفَعُكَ الدُّرُوبُ إلى دُرُوبْ. . .
أنا كَمْ أَحِنُّ وكَمْ أُجِنُّ إلى مُشَاهَدَةِ الحبيبْ
مَنْ لِي بِمَنْهَلِهِ الرَّطِيبْ؟!

(٩)

أنا لَسْتُ إِلاَّ الآخَرِينْ. . .
أنا سَوْفَ يَقْتُلُنِي الحَنِينْ. . .
ماذَا يَصِيرُ؟
لو أنني أَسْقَيتُهُ العِنَبَ الْعَصِيرْ. . .
وَجَلَسْتُ تَحْتَ خِبائِهِ، واللَّيلُ في الغَسَقِ الأَخِيرْ. . .
وجعلتُ مِنْ فَرْطِ الْهَوَى
خَدِّي عَلَى الْقَدَمِ الْحَرِيرْ. . .
وَدَنَوْتُ مِنْ فَمِهِ فَقَبَّلْتُ اللَّمى. . .
ماذَا يَصِيرْ؟. . .

(١٠)

دَعْنِي بِقُربك كَيْ أعيشَ ويستقرَ بي المصِيرْ. . .
أَنَا لَنْ أُغَادِرَ مَوْقِعِي بِجِوَارِهِ. . .
لا أستطيعُ فِرَاقَهُ
فالصَّبرُ في الرَّمَقِ الأَخيرْ. . .

(١١)

الْقَلْبُ أَرْهَقَهُ الْعَيَاءْ

مِنْ أَجْلِ نَافِذَةٍ تُضَاءُ . . .
فَأَرى جَمَال عُيونِها . . فَهِيَ الشِّفَاءُ
وَهِيَ الحِفَاظُ عَلَى الْبَقَاءُ . . .
وعُيونُها صَهْبَاءُ صَاخِبَةٌ
وَسِحْرُ شُعَاعِها يُحيي ويَقْتُلُ
عَامِداً مُتَعَمَّداً . . .
بُورِكْتَ يا عُنْقُودها
بُورِكَتَ مِن سَفاحِ . . .
لكِني أُشْفَى عَلَى قُبُلاَتِها
فَشِفَاهُهَا خَمْرٌ بِلا أَقْدِاحِ . . .
نَشْوَانُ وَهيَ تَضُمُّنِي
وَأَنا أَلُفُّ جَنَاحَها بجناحي
والقَلْبُ يُوميءُ لي بأَنْ أبْقى
أُواصِلُ لَيْلَتِي بِصَباحِي . . .

(١٢)

نَبَضَاتُ قَلْبِ العاشقينَ

دَلِيلهُم بُرْهَانُهم
أَنَّ الْوُجودَ زَمَاني
أشواقهم نَهْرٌ بِلاَ شُطآن
وعذابهم قَدرٌ مِنَ الأَقدَارِ
هَذَا الظَّمَا في أَعمْقِ الأَعماقِ مِنْ وِجدَانِي
ظَمأٌ كياني . . .
ظَمأٌ إِلَى المَجْهُولِ يَدْفَعُنا مَعاً
لِنَعِيشَ خَارِجَ هَذِهِ الأكوانِ
وَنَفِرَّ مِنْ أَنْيَابِ عَصْرِ
صِيغَ مِنْ زَيْفٍ وَمِنْ عُدْوَانِ
نَبْنِي هُنَاكَ مَمَالكاً وكَوَاكباً
كَلِمَاتُها أنفاسُهَا حُبٌّ
وَفَيْضُ مَشاعِرٍ وَحَنَانِ . . .
وَنطيرُ عُصْفُورَيْن نَحوَ الفَجْرِ . . .
فَجْرِ نَهارِنا الثَّانِي . . .
حيثُ المُنَى تَحْدو المُنى . . .

حَيْثُ الْهَوَى يَبْقَى لنا . . لجميعنا
كالخُبْزِ أَوْ كالماءِ للإِنْسَانْ . . .

مارس ١٩٨٥

فَوْقَ الدُّنيا. . .

ضِدَّ الزَّمَنِ. . .

(١)

قَلْبِي المِسْكِين!!
لاَ تَعْشَقْ. . .
لا تَعْشَقْ أَبَداً. . لا تَعْشَقْ
لَنْ تَكْسِبَ شَيْئاً مِنْ عِشْقِكْ
غَيْرَ الخَيْبَةِ. . . غَيْرَ النَّدَمِ
أَشْبعْ عَيْنَيْكَ. . ولاَ تَعْشَقْ
أَطْفِيءْ ظَمَأَكْ. . .
اشْرَبْ. . وارقُصْ. . غَنِّ. . اسْتَمْتِعْ

كالطَّيْرِ الْحُرِّ المتنقِّلْ . . .
مِنْ غُصْنِ الْوَرْدِ إِلَى السَّوْسَنْ . . .
لكنْ . . لاَ تَعْشَقْ . . .
لاَ تَعْشَقْ أَبداً . . . لا تَعْشَقْ . . .

(٢)

امرأةٌ أَنْتِ أم الجَنَّةْ؟ . . . .
أَمْ سِرٌّ لم أُدْرِكْ كُنْهَهْ ! !
أَمْ سِحْرٌ . . لُغْزٌ . . أَمْ فِتْنَةْ؟ . . .
حاوَلْتُ كَثيراً . . وكثيراً . . .
وَبَذَلْتُ جُهوداً . . وجُهوداً . . .
قاوَمْتُ التيارَ الْعَاتِي . . .
وَمَكَثْتُ أُصارِعُ أَمْوَاجِي . . .
وصَمَدْتُ طويلاً . . وطَويلاً . . .
ورَجَعْتُ حَزِيناً أَدْرَاجِي . . .
وأَنَا مقهورٌ لاَ أَقْوَى ! !
لاَ أَقْوَى أبداً . . لا أَقْوَى . . .

(٣)

عَبَثاً حَاولْتُ لكيْ أنْسَى . . .
وَصَبَاحَ مساءٍ أَذْكُرُهَا . . .
تَنْفُضُنِي الذِّكْرَى تَصْعَقُنِي . . .
وأَعُودُ وَأَرْجِعُ أَنْهَزِمُ . . .
أَسْتَسْلِمُ . . أَخْضَعُ . . أَنْكَسِرُ . . .
وأُنادي قلبي: لا تَعْشَقْ . . .
فإذا بالْقَلْبِ يُرَاوغني . . .
ينهارُ ويصرخُ: لا أقوى!!

(٤)

قَدْ عِشْتُ زَمَاناً كالموْتَى
وصَقيعُ العُزْلَةِ صَيَّرَني
كالْغُصْنِ الْعَارَي مِنْ وَرَقٍ . . .
في مَوْسِم قحطٍ؛ أوْ فِي لَيْلِ شِتَاءٍ مَقْرُورِ
الوحَدَة تَنْهشُ أيَّامي . . .
تَنْغَرِسُ بِلَحْمِي وعظامِي . . .

أَفعى تَتَسَلَّلُ في صَدْرِي
تَزْحَفُ.. تَلْتَفُّ عَلَى عنُقِي...
تَخْنُقُ أشْوَاقي.. تَدْفِنُهَا...
وتُبَدِّدُ أَحلَى سَاعَاتي...
فتموتُ تموتُ هُنَيْهاتي...
وأنَا أَتَعَذَّبُ.. أَتَلَوَّى!!
أَبْحَثُ عَن شيءٍ يُنْقِذْني
وأَدُورُ.. أَدُورُ.. بِلاَ جَدْوَى

(٥)

وظَهَرْتِ.. ظَهَرْتِ...
وَأَخْبَرَني...
بُرجِي عَنْ سِرٍّ مَكْنُونٍ...
عَنْ سَعْدٍ سَوْفَ يُوَافِيني...
يأتي عَنْ قُرْبٍ... يَأتيني...
«وَليالٍ تُشْرقُ بِالأملِ»...
وَبِحُبٍّ أَحْلَى من عَسَلٍ..

فَمَدَدْتُ ذِرَاعي مُنْتَظِراً
لأعَانِقَ أَجْمَلَ حِوريَّةْ!!
خَطَرَتْ في بالِ الإِنْسَانِ

(٦)

وَظَهَرْتِ.. طَهَرْتِ
فَفَرَّ الحُزْنُ.. أَضَاءَ الكَوْنُ...
تَهَلَّلَ شَيءُ بكياني...
وإِذَا بالكَوْنِ جَمِيع الكَوْنِ...
يُصَفِّقُ.. يَرْقُصُ.. ويُغَنِّي
ويُردِّدُ أَرْوَعَ أَلْحَاني...
وإِذَا بالْحُبِّ يُزَلْزِلُنِي...
ويحوِّلُ زمَني عَنْ زَمَني...
وَيُهَدْهِدُ إِيقاعَ حَيَاتِي...
وَيُلَمْلِمُ ـ في التَّوِّ ـ شَتاتي...
فتلُوذُ خلاَيَا بِخلاَيَا...
وَتَهِيمُ حَنَايا بحنايَا...

(٧)

يَرْميني الحبُّ إِلَى بَلَدٍ!!
لم يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ...
ولأَرْضٍ لم نقْرَأْ عنها...
تَتفَجَّرُ مِنهْا الأنهارُ...
تَرْكُضُ كالْخَيْلِ الأشجارُ...
وحُقولٌ نَاضِجَةُ الثَّمَرِ...
نَشْوَى بالْعِطْر وبالزَّهَرِ...
وَبِعِشْقِ الرِّيحِ وبالْمَطَرِ...
تَتلألأُ فِي ضَوْءِ القَمَرِ...
مِثْلَ الياقُوتِ أَوْ الدُّرَرِ...
والطَّيْرُ يُهَلِّلُ مُشْتَاقاً
للإِلْفِ العائِد من سَفَرِ
أَرْضٌ لم يَشْهَدْها قَبْلِي...
أَحَدٌ: مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرِ...

(٨)

يا لَحْنَ العمرْ... وَبَهْجَتَهُ...

وحبيبَ الْقَلْبِ وفَرْحَتَهُ. . .
أَحْيَانِي حُبُّكَ أَحيَانِي. . .
فَبِقُرْبِكَ أَنْعَمُ بِالجَّنَة. . .
وبدونِكَ لا يَبْقَى مَعْنى. . .
ويَمُوتُ الحِسُّ. . . يَمُوتُ الذَّوْقُ
يَضيعُ الْعُمْرُ. . .
وأُصْبحُ نَسْياً مَنْسِيًّا. . .

(٩)

أَحْبَبْتُكِ أَنْتِ فَلاَ تَدَعي. . .
قَلْبِي يَحْتَرِقُ. . ولَسْتِ معي!!
فاقْتَربي أَكْثَرَ. . واقتربي. . .
فالقلْبُ يموتُ بلا حُبٍّ. . .
لَوْ عِشْتِ بعيداً عن صَدْرِي. . .
تَلِفَتْ روحي. . وذَوَي عُمْرِي
فبدونكِ تَسْقُطُ أَوْرَاقي. . .
وتجفُّ مآقي. . ومآقي. . .

وأُوَدِّعُ أَفْرَاحَ الدنيا. . .

(١٠)

فتعالَيْ نَحيَا. . يَا أَمَلِي. . .
فالوقتُ يُوَلِّي ويُوَلِّي. . .
وأنا مِنْ زَمن أنتظرُ
ومَضَى عُمْرٌ. . ومضَى دَهْرٌ. . .
وأنَا لاَ أَفْتَأُ أَنتَظرُ. . .
لاَ عَقْلٌ فِيَّ. . ولا صَبْرُ. . .
مُضْنًى يَهْوَاكِ. . ولا يُشْفَى. . .
يُشْفى. . لو جئت على عجلِ. . .
يُشْفَى لَوْ يُرْوَى بالقُبَلِ. . .
والنّورِ الأَخْضَرِ في المُقَلِ. . .

(١١)

قَلْبِي المِسْكِينْ!!
لا تَعجَبْ. . .
إِنْ كَانَ الحبُّ فلا مَهْرَبْ. . .

حَظٌّ ومقاديرٌ تَلْعَبْ!!
رَغِبَتْ نَفْسٌ أَوْ لَمْ تَرغَبْ!!
وإِذَا مَا خَطَّطَهَا القَدَرُ
لا يَنْفَعُ حِرْصٌ أَوْ حَذَرُ...

(١٢)

فعلامَ أُقاومُ أفراحي...؟
والحبُّ خلاَصِي ومَرَاحي!!
يتجاوزُ كُلَّ الأَسْوَارِ...
ويُحَرِّرُ لَيْلِي ونهاري...
ويُفَجِّر أَجْملَ أَشْعَارِي...
ويُسَافِرُ بِي ضِدَّ الزَّمنِ!!
ويطيرُ بِنَا فَوْقَ الدُّنيا!!
وهُنَاكَ نَغِيبُ عن الرُّؤْيَا...
وَنَظَلُّ مَعاً: نحْيَا نحيا!!
فوق الدُّنيا
ضِدَّ الزَّمَنِ

بيروت ١٩٨٢

وهكذا نموتُ قَبْلَ مَوْتِنَا الطَّبيعِي. . .

(١)

يَا أُمَّةً قَدْ جاوَزَتْ أعْلى القمم حضارةً
أزقى الأُمَمْ حَضَارةً. . .
هَلْ أصْبَحَ الكبارُ والصغارُ
والرعيَّةْ. . .
جميعُهم تَجمَعهُمْ قَضِيَّةْ!!
قضيةُ الخِذْلاَنِ والهوانِ والمفاصل الْمَرخِيَّةْ. . .؟؟
فمعظَمُ الرجالِ والنِّساء في بَلاَدَةٍ فطريَّةْ
كأَنَّمَا «تنابلُ السلطانِ» في حَياتِنَا ظَاهِرَةٌ يوميَّةْ. . .
والعقلُ في إجازةٍ مُمتدَّةٍ كَأَنَّهَا المنيَّةْ. . .

ومنْطقُ التفكيرِ في حَياتِنَا. . .
بَحَثْتُ عَنْ جُذورِهِ. . الأصْلِيَّةْ
فلم أَجِدْهُ يَنْتَمِي لمَذْهبٍ
مِنْ هذه المذاهبِ العَصْرِيَّةْ
إلاَّ مَزِيداً من ضَبَاب فيه بَعضُ السِّرْيَالِيَّةْ
فَيَالَهَا مِنْ قُذْرَةٍ قَدْ أَفْرَغَتْ
جَمَاجِمَ الرِّجَالِ والنِّساءِ مِنْ عُقُولِها
وحوَّلَتْ رَؤوسَهُمْ إلى صَنَادِيقِ الخشَبْ. . .
مَعْذِرَةً إِذَا تجَاوَزتُ الأدَبْ. . .
فكُلُّ شَيءٍ حوْلَنا مَهْزَلةٌ تدْعو إلى العَجَبْ!!
تدْعو إلى تفجِيرِنا. . والانقضاضِ دَفْعَةً واحدةً
لهدْمِ كُلِّ ما يدورُ في عُقُولِنا. . .

(٢)

عَلَى مَدَى العُصورِ وَالحِقَبْ. . .
ومِن عُهودٍ لا تَعيها الذاكرَةْ
توَّقَفَ الزَّمَانْ!!

تَهَرَّأَ المكانْ!!
ولَمْ يَعُدْ في أَرْضِنَا مِنْ هَيْبَةِ الإِنْسانْ...
إِلاَّ ظُنونٌ.. ذكرياتٌ بَاحِثاتٌ عَنْ كِيانْ...
فمنذ حِقْبَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَانْ...
ونحن مَحْشُورُونَ في محطةٍ واحدةٍ
كأَنَّنَا الخِرْفَانْ...
نعيشُ فِي مَعَاقِلِ الطُّغْيَانْ...
ننتظرُ الأوامرَ السَّنِيَّةْ...
بالذَّبح أَوْ بالبَيْع أَوْ بالزَّجِّ
في حظَائِرِ التعذيب والسَّاديَّةْ...
فكُلُّنا لَيْسَتْ لَنا هَوِيَّةْ...
وكُلُّنا رهائنٌ بالضِّفَّةِ الغربيَّةْ...
نهيمُ في البقاعِ والقفارِ والبريَّةْ...
نَسْأَلُ عَنْ مَنَافِذِ الحريَّةْ!!
مدَائِنِ الحريَّةْ..!!
فَمُنْذُ ألفٍ أَوْ يَزيدُ من سِنِي حَيَاتِنَا

لاَ نَعْرِفُ الحريَّةْ...
هَلْ منكُمُ من يعَرفُ الحريَّةْ؟...
مَنْ قَابَلَ الحُرِّيَّةْ...
مَنْ سَارَ في رِكَابِها...
وذاق مِنْ رَحِيقِهَا!!
ونامَ في سَرِيرِهَا؟...
كمْ عشْتُ دَهْراً كاملاً أَحْلُمُ بالحريَّةْ
أَتُوقُ أَنْ أُعَانِقَ الحُرِّيَّةْ...
وكَمْ بحثْتُ في مجاهلِ الزمانْ...
لَعَلني في لحظةٍ صوفِيَّةْ...
أَقْتَاتُ مِنْ عيونِها السحريَّةْ
وأَرتوي من خَمْرِها العُلْويَّةْ...

(٣)

مَنْ قَبْلَنَا قَالُوا لنا:
لا تيأَسُوا...
«فالصَّبرُ مِفْتَاحُ الفَرَجْ»... لا تَقْلَقُوا.. وانْتَظَروا

فالنَّصْرُ آتٍ. . . .
إِنَّهُ لاَ رِيبَ فيهِ. . صَابروا. . .
فَالصَّبْرُ مفتاحُ الفَرَجْ. . .
إلى مَتَى يا إخوتي. . .
أحلامُنا نقيمُها على الرمالْ. . .
حكومةٌ. . وَبَعدَها حكومةٌ. . . وقَبْلَها
حكومةٌ. . تبادلَتْ سُلْطَانَهَا
لتَرْكَبَ الشعوبَ كالبِغَالْ. . .
تاركةً بعضَ الرسومِ والظِّلاَلْ
ليس لها مكانَةٌ في عَالَمِ الخيالْ. . .
والشَّعْبُ في سَذَاجةٍ يُصَدِّقُ المَقَالْ. . .
يَقْتَاتُ بالسؤالْ. . .
يُرَدِّدُ الأَقْوَالْ. . .
يُعلِّلُ الأَنْفُسَ بالآمالْ
«فالصَّبرُ مفتاحُ الفرجْ». . .

(٤)

هَلْ كُلَّنَا . .
هياكِلٌ من الرُّسُومِ والظِّلاَلْ . ؟؟
وبِنْيَةٌ مِنَ الوَرَقْ . . . ! !
وهذهِ جميعُها أَنْظِمَةٌ مِنْ طِينَةِ الصَّلْصَالْ
سِلْسِلَةٌ مِنْ لُعَبِ الأَطْفَال ! !
هذي الشعاراتُ التي تَزأَرُ بالنِّضَالْ . . .
تجأرُ بالنِّضَالْ . . ! !
في غيرِ ما نضالْ ! !
جميعُها سِلْسِلَةٌ من لُعبِ الأَطْفَالْ ! !
فالاتحادُ . . . الانْفِصالُ . . . والحروبُ
كُلُّها مصادفةْ
قالوا : نِضَالْ . . .
جميعُها مُجازفَةْ . . .
قالوا . . . نِضَالْ . . .
كمْ في حيَاتِنَا نِضَالْ

يا ليتَهُ في خدْمَةِ القضِيَّةْ. . .
نضالُنا وقْفٌ على الخُصُورِ والنحورِ
والسواعد الْمَلِيسَةِ الطريَّةْ. . .
أُمورُنا في هَذِهِ مَقْضِيَّةْ. . .
تَبَارَكَ النِّضَالْ!!
إِلَى مَتى يا أُمَّتِي سَنَقبلُ التَّزييفَ في مَصِيرِنا
في أَخْطَرِ الأَحْوَالْ. . !

(٥)

لُبْنَانُ كُنْتَ جَنَّتِي عِنْدَ الضَّجرْ. . .
كمْ ذُقْتُ مِنْ جَنَّاتكم أَحْلَى الثَّمرْ!!
وكمْ رأيْتُ مَاءَهَا يَخْرُجُ من قَلْبِ الحجَرْ. . .
يا مَنْ جَعَلْتَ القَمَرَ الْوَاحِدَ في لَيْلِ الْهَوَى أَلْفَ قَمَرْ!!
قد صِرْتَ يَالبنَانُ جُرْحاً نَازِفاً
لكنَّ جرْحَ الْقَلْبِ مِنْ نَزْفِكَ يَكويه الشَّررْ!!
يا قَوْمُ أيْنَ الشَّرْقُ؟ أين الغَرْبُ!
دَقَّ نَاقُوسُ الخطَرْ!!

تُرَى هَل انتهتْ شَهَامةُ الضَّمِيرِ والشعورِ
لَمْ يَعُدْ لها أثَرْ؟
أَسْأَلُ كالْمَشْدُوهِ... أَيْنَ أُمَّةُ العرَبْ؟!
هَلِ امَّحتْ مَشاعِرُ النَّخْوَةِ فِيها والْغَضَبْ؟!
هَلِ انزَوَتْ.. وبادَرَتْ إلى الهَرَب؟!
قَالُوا: نَعَمْ... لاَ تَعْجَبُوا...
والْخَيْرُ ألاَّ تَسْأَلُوا..
فَتِلكَ حِكْمَةُ العَرَبْ!!
لُبنانُنَا قَدِ انْتَحرْ...
رِفقاً بِنَا يَا أَيُّها الْقَدر!!
صواعِقٌ زلازلٌ لم تُبْقِ شيئاً أَوْ تَذَرْ!!
لبنانُنا تَحَطَّمتْ دِيَارُهُ قُصُورُهُ...
«وأَرْزُهُ» تَمَزَّقَتْ فروعُهُ...
وانقسَمَتْ نِصْفَينِ أو ثلاثةً جذورُهَ...
قتلاهُ من كَثْرتِهِمْ ضَاقَتْ بِهم قبورُهُ...
لُبْنانُنا قَدِ انْتَحرْ...

رِفقاً بِنا يا أَيُّها القَدَرْ . . .
سَيَّافُهُم «مَسْرور» خلْفَ البابِ
يَقْطَعُ رَأْسَ كُلِّ عابرٍ بلاَ حِسَابِ
وَأَهْلُنا . . شبابُنا . . نِساؤُنا يَسْقُطْنَ
بالألوفِ كالذُّبابِ
لُبْنَانُ يا أُغْنِيَةً في الصُّبحْ والمَسَاءْ
أَخْجَلُ أَنْ أقُولَ مَا لَديَّ مَن أشْيَاء . . .
احترَقَتْ حقُولكُمْ . . بُيوتُكمْ . . . والأَرْضُ والسَّمَاءْ
وكُلُّ مَنْ قَتَلْتُمُ فِي الحَرْبِ أَبْرِيَاءْ ! !
مَتى نَعودُ للحياةِ . . . للصَّفاءْ؟
مَتَى نعودُ . . . أَصْدِقَاءْ؟ !

(٦)

قتالُنا . . . أَمْوالُنا . . نِضَالُنَا . . .
جميعُها سُدَى ! !
هَلْ بعد قَتْل إخْوَةٍ من الأَشِقَّاءِ مَدى . . .
صارَ الشَّقِيقُ في زَمانِنا من العِدَا

أيُّ ارْتقاءٍ ذَاكَ في مَرَاتِبَ العُلاَ!!
لَعَلَّهُ شَيءٌ جديدٌ في ملاحم الجهادِ والْوَغي...
قد كانَ يوماً مِنْ كَبائِرِ الخَـنَا...
واليومَ صارَ مطلباً... قوميَّةً.. بُطُولَةً.. ومغْنَمَا!!
أيْنَ الإِباءُ والإِخاءُ وَالشَّمَمْ!!
أيْنَ الهمَمْ؟...
أيْنَ التي قد جَاوَزَتْ أعلَى القِمَمْ
حضارةً!!
أزْقَى الأُمَمْ.. حَضَارةً؟!

(٧)

إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ قَضَى..!!
فَضِيحَةٌ أني هَنا...
ما زِلْتُ حَيًّا أُرزَقُ!!
أحْيَا الحياةَ راضياً مُسْتَسْلِما!!
هزيمةٌ أَنِّي هنا...
ما زِلْتُ حَيًّا أُرْزَقُ...

بالموتِ يَحْيَا الناسُ
لا يحيْون بالْهوانِ وَالأَذى
إِنَّ السعيدَ مَنْ قَضى!!

(٨)

هزيمةٌ لها العجبْ!!
يَنْدَى لها جَبِينُنَا نَحْنُ الْعَربْ...
لا تَسْأَلُوا أيْنَ الخَلَلْ.. أوْ ما العَمَلْ؟
إِنَّ الجوابَ عِنْدَنَا...
الداءُ والدواءُ بينَنَا...
ما غَادَرا دِيَارَنَا..!!
مهما تكاتَفَتْ قوىً معاديَةْ
مهما تعاظَمَتْ.. تَجَّبَرَتْ.. تَكَتَّلَتْ
وحاصَرَتْ بلاديَةْ...
فالعيبُ فينا ها هُنَا.. في أرْضِنَا
مأساتُنَا تنبعُ من سلوكِنا.. تمزِيقِنا
ضياعِنا نحنُ العَرَبْ...

(٩)

لأننا مُفرَّقون...
لأننا مُشَتَّتُونْ...
لا بُدَّ أن نَرْجُفَ مِثْلَ أوراقِ الشَّجرْ...
ننامُ كالعُصْفورِ لَيْلَةَ الشتاءِ وَالمطَرْ...
مهدَّدِينَ بالخَطَرْ...
نَظَلُّ هكذا...
كأَننا دُوَيْلَةٌ مِنَ الغَجرْ... مُهَدَّدِينَ بالْخَطَرْ!!
حتى تقومَ ثوْرَةٌ بأرْضِنا
تُزَلْزِلُ العُقولْ... تُغَيِّرُ العقولْ
توحِّدُ الْكِيَانْ.. وتخلق الإِنْسَانْ...
وتَبْعَثُ الهَوِيَّةَ المطويَّةَ المَنْسِيَّةْ...
لأُمَّتِي الأَبِيَّةْ...
تُعيدُ لي حُرِّيَتِي... كَرَامَتِي...
تُعِيدُ لي الْهَوِيَّةْ...

ديسمبر ١٩٨٥

دَوْلَةُ الكِبَارْ . . .

نَصِيحَةٌ لإخْوَتِي في أُمَّةِ العربْ . .
تَنَبَّهُوا!! وَحَاذِرُوا . . .
مِنْ دَوْلَةِ الْكِبَارْ
عِصَابةِ الْكِبَارْ
فَمَنْطِقٌ مُبْتَسِمٌ . .
والْوَجْهُ مُسْتَعارْ . !!
وفِعْلُهمْ فَضِيحَةٌ وَعَارْ

* * *

يُخَطِّطُونَ مُنْذُ أَلْفِ عَامْ
بأنْ نَظَلَّ أُمَّةً . .
تُسَاقُ كالأنْعَام . . !!

تُباعُ كالأَغنَامْ. . ! !
وأَقسَمُوا: لاَ بُدَّ أنْ نَظَلَّ دائماً
نُطَأْطِىءُ الرُّؤوسْ! !
لا نَرْفَعُ الرُّؤُوسْ. . ! !
فَنحنُ لاَ نُعَدَّ عِندَهُم مِنَ الأنامْ! !
لأنِنا في الَّلامكانْ. ! !
فَلَمْ تَعُدْ لأُمَّتي مِسَاحةٌ في مُعْجَمِ الْبُلدْانُ! !
دَعْوَتُنَا للأمن والسَّلاَمْ
كَدَعْوَةِ الأَيْتَامِ في مَآدِبِ اللِّئامْ. .

* * *

مِنْ كَثْرة الْخَناجِر الْحَمْراءِ في صُدُورِنا. . .
وكَثْرةِ الصَّوَاعِقِ المُبَاغِتةْ. ! !
ورُؤْيةِ الشُّعوبِ تُستبَاحُ رَاضِيَةْ. .
قَدْ بَاتَ شَعْبُ أُمَّتي
يَقْتَاتُ حَنْظَلَ الهوانْ! !
وَوَحْشَةَ المُسْتَضْعفِ المُهانْ. ! !

يا إِخْوتي هَلْ نَحْنُ نائِمون غَائِبُونْ؟؟
أَمْ نَحْنُ سَادِرُونْ. . ! !

* * *

تَآكَلَ الضَّعيفُ وانزَوى هُنَاكَ ثم مَاتْ
وآخَرونَ آثرُوا الْخُنوعَ والسَّلاَمةْ. . .
وَبَعْضُنا تَجَمَّدتْ دِمَاؤهُ
فَلاَ يُحِسَّ بالكرامَةْ. ! !
قَالُوا: السُّكُوتُ من ذَهَبْ! !
فاخْتَنَقَ الصَّوْتُ فَلاَ حِسَّ إلى يَوْم القِيَامَةْ. ! !

* * *

تَحتَ سَيْف مُسْلَطِ. . .
وتَحتَ جَوٍّ مُفْعَم بالْقَهْرِ والْهَزيمةْ. . .
لا تَنْفَعُ الْقَصَائِدُ الْعَصْمَاءُ والْمَقَاصِدُ النَّبِيلَةْ
ولم تعُدْ لِرَفضِنا الأَبِيِّ أيُّ قِيمَةْ. ! !
وهكذا نموتُ قَبْلَ مَوْتِنا الطَّبيعي. ! !
فكلُّ جِسْمِ مَيِّتٍ لا يَرْفُض الإسَاءَة. . .

وحينَما ينْعَدِمُ الإنسانُ تُجْدِبُ الطبيعة . .
تَنْدَثرُ الطَبيعةُ . . !!
قَالُوا : السُّمومُ في مياهِنَا كثيرةٌ
قُلْتُ نعم : لأنها راكدةٌ بليدَةْ . !!

* * *

نَهِيمُ صَارِخينَ في الْبَرَارِي . !!
فَنَلْتَقي بالدُّوّدِ والْقُرونِ والْمخَالِب الضَّوارِي
جَمَعْتُ زَفْرتي وأَنتي ودَمْعتي
وصُغْتُ مِنْ خُيوطِها سيَفَ الأَسَى الحزين . . !!

مايو ٩٩٢

نقاوةُ الحياة

هَلُمَّ يا حبيبتي
نُغَالبُ الألَمْ.
ونَطْرَحُ الهمومَ والضياعَ والسَّأَمْ. . .
ونفقدُ الصوابَ بالشَّرابِ برهةً. .
ونَعْتَلي القِمَمْ.
فكُلُّنا مُهَدَّدٌ بأَخْطَرِ المخاطِرْ!!
وكلُّ رُكْنٍ في الحياةِ بالخرابِ عامِرْ!!
كأَنَّنا نَضْرِبُ في مَتَاهَةٍ،
وَحْشَتُها مِنْ وحْشَةِ المقابِرْ. . .

* * *

وأنتِ يا حبيبتي إضاءةُ الحياةْ. .

نقاوةُ الحياةْ. . .
وزورقُ الخلاصِ والنجاةْ. .
فأنت كالطبيعةْ
وفيكما الشفاءُ من براثن الوجيعةُ
حُبك يا حبيبتي خُلاصةُ الزمانْ
ومَرْفأُ السَّلاَمِ والأمانْ. .
وجُودُنا معاً
تَصَالحٌ مع الوجودِ والزَّمَنْ. .
فالحبُّ يا حبيبتي عَدُّوهُ الزَّمَنْ. .
ولَحْظَةُ الهِيام لَحْظَةٌ قَصيرةٌ،
كخفقةِ النجومْ. .
تقفزُ كالفَراشَةْ. .
لا تَسْتَقِرُّ لحظةً ولا تدومْ. .

* * *

فإنْ مَرَزتِ يا حبيبتي. .
مَرَّ الرياحِ فوق تُرْبتي. .

أُمَزِّقُ الأكفانْ. !!
وأغْتَدي مِنْ جَوْفِ قَبْري واثباً. .
لألتقى بِطَلْعَتِكْ. . .
فأنتِ يا حبيبتي كالبَعْثِ. . كالولادةْ. .
وحُبنا بحرٌ مِنَ الجنونِ والسعادةَ.

❊ ❊ ❊

وكُلَّمَا أَطَلَّ وجْهُكِ المنيرْ. .
لينشرَ الضِّياءَ في أرجاءِ كَوْنِنا الضَّرِيرْ!!
سأنحني. . سأنحني. .
أمامَ لُطفِ الأزَلِ. .
لأنه أجْلَسَني في مَقْعَدِ الصَّدارَةْ
من شِعْرِنا الْغزَلِ. .

❊ ❊ ❊

ولستُ أنْسى ليلةً
بحثْتُ عَنْكِ والظَّلامُ حالِكْ. .
مُضَيَّعاً أتوهُ في الدروبِ والمسالِكْ. !!

وعندما ظَهَرْتِ يا سُلْطَانةَ المَمَالكْ . .
وَجذتُ كُلَّ حبٍ للنساءِ قَدْ رَحَلْ . ! !
فقد خَتَمْتُ بابَهُ بِقُبلَةٍ
كأنها العَسَلْ ! ! .
أَدْرَكتُ أَنِّي قَبْلَها
أَجْهَلُ ما مَعْنَى القُبلْ . ! !
لَيْلَتَها نظرتُ للسَّمَاءْ . .
شَكَرْتُ للسماءْ ! !
شَكَوْتُ للسماءْ ! !
كَيفَ اسْتَطَعْتِ فجأَةً،
أنْ تَحْجُبي جَميع ما في الأرض من نساءْ . ؟؟
وتصبحي أميرةً وحِيدةً في عَالَمِ النَّقَاءْ . ! !

* * *

هلُمَّ يا أميرتي نُغالبُ الألَمْ
ونَطْرحُ الهمومَ والضَّيَاعَ والسَّأَمْ
ونفقدُ الصَّوابَ بالشَّرَابِ برهةً

وَنغْتَلي القِمَمْ. !!
نَخْترقُ المَجْهولْ. .
ونكشِفُ الجديد
لا بُدَّ. . لا مَفرَّ
أنْ نَغُوصَ
في السماءِ والجحيمْ. .
لِيَسْتَوي المجنونُ والحكيمْ!!
ونَغْتَلي القممْ!!

١٩٩٢/٩/٦

الإنْسَانُ الْيَوْم

«في زحمة الصراع بين الخير والشرّ بينَ الضياءِ والظلامْ.. وفي وَخشة الإنسان الهائلة.. وفي محاولة الدَّمج بين قُوى الرمز الإيحائية، ومُعاناةِ الواقع اَلْمَعِيشْ.. كانَتْ هذه القصيدة..»

(١)

قالُوا:
مأساةُ الإنْسانِ اليومْ..
مأْسَاةُ الكَوْن..
أنَّ الإحْساسَ المُرْهَفَ مَاتْ.!!

(٢)

أيْنَ الإنْسَانُ يَرَى الدُّنْيا في ذَرَّةِ رَمْلْ.!
أينَ الشَّاعر - في كَفٍّ يَدِهْ -

يُمْسِكُ بالكَوْنْ!؟

فِي سَاعة زَمَنٍ واحدةٍ يَحْوِي الأَبَدِيَّةْ. !!

يَجْمَعُ بيّن الإدْراكِ وبَيْنِ الحِسّ بِعُمْقٍ وبحرِيَّةْ

أينَ الإنسانُ الأسْمَى؟.

أيْنَ الرُّوحُ الأزَلِيَّةْ!!

أيْنَ الْقَلْبُ الحيُّ يُفَجِّرُ شَلاَّلاً مِنْ شِعْرِ

حينَ يُقَابِلُ زَهْرةَ وَرْدٍ برِّيةَ؟!

أيْنَ الكادِحُ.. أين الْعَامِلُ

من أَجْل حياةٍ مُفْعَمَةٍ

من أَجْلِ حَيَاةٍ وافِرَةٍ

كَيْ نَصْنع لِلْعُشاقِ بِيوتاً..

لِلْمَرأةِ أوْلاَداً..

للإنْسانِ حَيَاةً..

فالنَّحْلَةُ لاَ وَقْتَ لَدَيْها

الشَّغْلُ هِوَايتُها

ولِذا، فالحُزْنُ بَعيدٌ لاَ يَلْمَسُ عَيْنِيها. !!

(٣)

أينَ الحُبُّ الصِّدقُ . . الحبُّ الْعُمْقُ . .
الحبُّ فِدائية؟ .
الحبُّ الْبَذْلُ . . الْخَيْرُ . . النُّبْلُ
السَّبجاتُ الرُّوحِيَّةَ .

(٤)

في غَمْضَةِ عَيْنٍ
قد قُلِبَتْ كلُّ الأَوْزَانْ ! !
فالجوُّ يصيرُ - بِقُدْرَةِ قَادِرٍ -
كابُوساً صَلْداً مَحْمِيَّ الأرْكانْ
هَلْ مَنْطقُنا تخريبُ العَقْلْ . ؟ .
طَمْسُ البشريَّةْ . ! !
هل نَحْنُ جَميعاً مَرْضَى . .
نَحْتاجُ إلىَ عَمَلِيَّة تطهيرٍ عَلَنِيَّةْ
الأفْعَى . . الدِّيدَانُ . . الْغِرْبانْ
قَدْ دَفَعَتْ إنْسانَ العصرِ
إلى الهَذَيَانِ . . الإدْمانِ . . الطُّغْيَانْ ! ! .

هل يَبقَى الرُّعْبُ الأكْبَرّ؟
جَوُّ اللَّاعَقْلِ. التَّعْذِيبُ.. الساديَّةْ؟.
وجِرَاحُ الذَّاتِ الْمَقْهورَةْ..
والآلامُ النَّفْسِيَّة...
الكابوسُ الصَّلْدُ المُحْكَمْ..
الْخَيْبَةُ والتِّيهْ.!!
وذكاءُ المرءِ الْمَغْلُوبِ عَلَى أمرِه..
وفسادُ النِّيَّةْ؟!
والعزلَةُ.. عُزْلَةُ أَفْرادٍ في أَغْوارِ النَّفْسِ المطويَّةْ؟!
مأساةُ الإِنسانِ الْيَوْم..
مأسَاةُ الْكَوْنْ..
أنّ الْكُلَّ يُعانِي مِنْ عَطَشٍ روحيّ
عَطَشٍ للنبع ولِلْحبّ
وإلَى قبَسٍ مِنْ نُورِ الرَّبّ.!!
(٦)
حقًّا.. إنَّ الإنْسَانَ لَيطْغى.!!

لكن لَنْ يَقْدِرَ أنْ يَقْتُلَ فِينا الرُّوحَ العُلْوِيَّةْ
عِظَمُ الإنْسَانِ وخِسَّتُهُ
وسُمُوّ المرءِ وحِطَّتُهُ . .
وَتَمَكُّنُهُ مِنْ هَذَيْن . .
وتأرْجُحُهُ بينَ الضِّدَّيْنْ . .
هو سِرُّ الكونِ حَقيقتُهُ
لكنَّ ظواهِرَنا الْوحْشِيَّةْ
لَنْ تَقْتُلَ فِينا الرُّوحَ الْعُلْوِيَّةْ .

(٧)

قَضَّيْنَا في الأَرضِ فُصُولاً من صَيْفٍ وشتاءْ . .
وملايينَ السنواتِ الحمقاءْ . .
وأمامَ الإنْسانِ ملايينٌ أُخْرَى وملايينْ . . .
والْمَوتُ سَيُفْرِغُ وَسَيْملأْ ! !
وأنا لَنْ أَمْكُثَ مَعَكُمْ إلا بعضَ ثَوانٍ أُخْرَى . .
لكنِّي باقٍ بِبَقَاءِ الْمَوْجُودَاتْ . .
فاللَّحْظَةُ شيءٌ، والأَبَدِيَّةُ شَيءٌ ثانْ . .

اللَّحظةُ جيلٌ أَوْ جِيلانْ . .
والأبَدِيَّةُ كُلُّ الأزْمانْ . .

(٨)

وأنَا مَوْلُودَ مِنْ أُمٍّ
لا تَمْلِكُ غَيْرَ الحبِّ وغيرَ الأَمَلِ!!
ونشأْتُ وجَدْتُ العِشْقَ يَرُوحُ ويَغْدُو
يَهْتِفُ باسْمي . !!
والنَّاسُ سَيُعْطُونَ لِقَلْبي
حَفَنَاتٍ من حبٍّ أسْمَى . .
والإنْسَانَ الحيُّ سَيَمْضِي . . .
يَمْلأُ أَرَجاءَ المُسْتَقبلْ . !!
يَنْشِقُ عِطْرَ الصُّبْح وعِطْرَ اللَّيْلْ . .
فَلَكَمْ خُضْنَا مَوْجَ البحرِ نُعاني مِنْ أهْوالِ الْوَيْلْ
لكنَّا ـ بَعْدَ قليل ـ صِرْنا نَضْحَكُ حِينَ نخوضُ الْبَحْرْ
ونَصِيحُ نُلَوِّحُ للناسْ . .
ونُغَنِّي للأهْلْ . .

لحناً أحْلَى مِنْ تَغْريد الطَّيْرْ . .

(٩)

يا أرْضاً بلَّلَها الدَّمْعْ . .
يا أرْضاً أَضْفَى اللهُ عَلَى دَمْعتهَا النَّشْوَةْ . .
يا أرْضَ الأشجارِ . . الأطيار . . الأَنْهَارْ . .
يا أَرْضاً صَبَّ عَلَيْهَا الْبَذْرُ الأَنْوَارْ . .
لا أُنْكِرُ أنَّ عطاءَكِ مِدْرَارْ . . .
فالحبُّ سَيَغْمُرُنا أكْثَرْ . .
ويُرَطِّبُ كلَّ نَباتٍ يَنْمو أوْ يَخْضَوْضِرْ . .
وستغدُو الدُّودَةُ تَغْفِرُ لِلْمِحْراثِ جريمَتَهُ . .
وسَنَعْلَمُ أنَّ زئيرَ أسُودِ الْغَابَةْ
وعواءَ ذِئابٍ في الْفَلَواتِ الوحْشِيَّةْ
أجزاءٌ من تِلْكَ الأبدِيَّةْ ! !
لا تُدْركُها عَيْنُ الإنْسانْ ! !
فاللَّحظَةُ جِيلٌ أو جيلانْ . .
لكنَّ الأَبَدِيَّةَ عُمْرٌ ثان . ! !

مايو ١٩٩٣

الأَهمُّ هُوَ الْحَيَاةْ . .

(١)

لَوْ أنَّ الإنْسَانَ أرَادْ
لو قَدْ حَاوَلْ . . .
هل يُدْرِكُ كَنْهَ وُجودِهْ؟!
هل تِلْكَ الدُّنيا مَلْهاةٌ!!
تَكْمُنُ في جَوْف المأساةْ؟!
تَنزِفُ فَرَحاً؟ .
تَضْحَكُ ألماً . ؟ .
لتُواجِهَنا بِفجِيعَتِنا . . .
بمصيرِ يَبْكِي ضَحِكاً . . ؟

هل تِلْكَ طبيعةُ وَضْعِ الإنْسان!.؟

(٢)

سَمَّوْهُ الْفَرَحَ الْبَاكي!!
أوْ سَمَّوْهُ الأَلَمَ السَّاز!!
يَتساوَى الأمْرَانُ!!
فالأَيَّامُ سُهادُ الَّذكَرى..
أرَقٌ مِنْ أَجْلِ خَلاَصْ..
والجَّذْبُ العُقْمُ عَذَابُ الناسْ..
والثَّوْرُ مَشَى للسَّهْلِ وحيدا..
يُمْعِنُ رَكْضاً...
يَصْرُخُ في الْبريَّةْ..
مَا عَادَ الزَّوْجُ يُقَبِّلُ زَوْجَهْ!!
وسنبقَى فَوْق السَّطْح الأجْرَدْ
نَسْعَى مِثْل النَّمْلْ..!!
لكنَّ النَّمْلَ أَبِيٌّ وَجسورْ..
لا يَرْضَى أَنْ تَذْبُلَ زوجُهْ

أمّا نَحْنُ حَصيلَتُنا قَبْضُ الرِّيحْ
وحَصَادُ هَشيمْ..
لاَ شَكْلَ ولاَ مَضمونْ...
لاَ خُبْزَ ولا مَاءْ..
نَهْتَمُّ ولا نَهْتَمّ.!!
والوادي مُقْفِرْ..
والْجَسَدُ الْمَقْروزْ..
قَفَصٌ يَبْحَثُ عَنْ عُصْفُور!!!
وخلاصُ الإنْسَانِ مُجَرَّدُ ظِلّ...
خالٍ من أيِّ حقيقة.!!
والإنْسَانيَّةُ مُتْعَبَةٌ عَطْشَى..
تتوقَّعُ وَغْداً أَبَدِيًّا..
أَوْ زَلْزَلةً أَوْ شَرْخاً في جَسَدِ الْكَوْن..
لكنْ لاَ شَيْءَ يَجِيء.!!

(٣)

واليومُ اليومُ هو الأمسْ..

لا طَعْمَ ولا جَدْوَى!!
الأَوْرَاقُ الأَقْلامْ...
وحَقِيبةُ كُتُبٍ مُمْتَلِئَةْ..
مَعْجُونٌ للأسْنانْ!!
أدْويةٌ وَطَعَامْ..
وشَرَابٌ ثُمَّ كلامْ..
في الحاضرِ.. في الماضي.. في المستقبَلْ!!
الْكَلُّ مُعادْ.!!
لا شَيْءَ جديدْ!!
عَادَاتُ الدُّنْيا مَضْنِيةٌ.!!
والْعُرْفُ السَّائدُ وَحْشٌ يَلْتَهِمُ الإِحْسَاسْ!!
وَبِوسْعِ العَادَةِ تَبْديلُ طَبِيعتِنا!!
فِطْرتِنا.. تمزيقُ أصالتِنا!!
وجَليدُ حَياتي يَتَأَجَّجُ ناراً!!

(٤)

رُحْنَا نتحدثُ.. نَتَعَلَّلْ

بالذكرى . . بالحبّ

بِسَعَادَتِنا . !!

بالأَيَّام الْحُلْوَة . .

بالْفَنّ !! .

الْفَنُّ هو الرَّاحَةْ . . .

حُرِّيَّةُ ساعةْ !!

يُعطيها الفنانْ

هِبَةً للأَيَّامْ . . للإِنْسَانْ . !!

رُحْنا نَحْلمُ بالْمُسْتَقْبَلْ . .

نَتَعَلَّلْ . !!

نَشْتَاقُ ولاَ نَفْعَلْ !!

لا شيءَ يِجيء . . .

لا شَيْءَ يَجِيء . !!

(٥)

والخوفُ عَظِيمْ . . .

والسَّاعةُ تَجْري !!

وبِقربي طَرْقٌ تَسْمَعُ دَقّاتُهْ . . .
جَرَسُ النَّوْم يَدُقّ . . .
والْمَوْتُ بِبُطْءٍ يَزْحَف . . لكنْ بِثَبَاتْ . !!
واللَّحظَةُ آتِيةٌ . !!
لكنَّ الزَّهْرَةَ ما زالَتْ تنمُو في الأَعْمَاقْ!!
وحقيبةُ آمالي مُفْعَمَةٌ!! .
وأنَا مَدْفُونٌ حَتَّى الرَّقَبَةْ . !!
لكنْ عينايَ تَعِيشان . !!
تَنظُرانْ . . . !!
عَيْنَايَ تَقُولاَنْ . . .
هذا النُّورُ أُحِبُّهْ!! .
ما زِلْتُ أرَى الْعَيْشَ جَميلاً . . .
فأنا حتَّى في الْمَوْتِ أرَاهْ!!
بَلْ أَحْيَاهْ . . !!
حَتَّى آخر لَحْظَةْ
حتَّى لَوْ لَمْ أقْدِرْ أَنْ أَرْفَعَ صَوْتي . .

فأَنَا أَحْيَاهْ. . !!
لا أنْسَى أَزْهَارَ الْعَسلِ. . . !!
فَالعَيْشُ جميلْ. . !!

أغسطس ١٩٩٣

الْعَزْفُ فَوْقَ أَسْطُحِ الحياةْ

إذَا مَا أَرَدْتَ صَفَاءَ الْحَياةِ
فلا تَبْرَح العِشْقَ
واحْفَظْ طُقُوسَ الْغَرَامْ . ! !

* * *

وإنْ شِئْتَ خَيْراً
وكُنتَ أَخَا الْحَظِّ والمكْرُماتْ
تَعَلَّقْ بأذْيالِ هَذَا الحبيبْ ! !

* * *

فإنْ طَافَ يَوْماً خَيَالُ الحبيب بِقُرْبي . .
وسَافَرَ مِثْلَ السَّفِينَةِ في مَاءِ عَيْني . .
تَرَبَّعْتُ عَرْشَ الْحياةِ الْوَثيرْ . ! !
وأُدْخِلْتُ جَنَّةَ عَدْنٍ مَعَ الدَّاخِلينْ

وصِرتُ مِنَ الصَّفوةِ الْمُلْهَمِينَ. !!
وكُنتُ كمَنْ غَاصَ فِي لُجَجٍ هَادِرَةْ. !!
كَمَنْ عاشَ رُؤْيَا مِنَ اللَّذَّةِ الْقَاهِرةْ. !!
كَمَنْ طَارَ فَوْقَ جَوَادٍ يَسُوحُ بِهِ الْعَالَمينْ. !!

* * *

فبيَنْي وبيْنَ الْحبيبِ كَلاَمْ. !!
بِكُلِّ جَنَاح يَرِفُّ، ورُوح تَطيرْ. . .
وَدَاخِلَ صَدْري رياحُ غَرامْ
وألْفُ حبيبٍ، وألْفُ حياةْ. !!
وَعَبْرَ الرِّيَاحِ، وعَبْرَ الْقُرونْ. .
عَوَاصِفُ مِنْ لَهْفَةٍ لا تَلِينْ. . .

* * *

فهَذا حَبِيبيَ يَرْقُصُ فَوْقَ النُّجُوعْ. .
يُغَنِّي عَلَى دَفقَاتِ المياهْ. .
يُسَطِّرُ حُبِّي، ويَسْكُبُه فَوْقَ كُلِّ الرُّبُوعْ. . .
فيَروي عِطَاشاً، ويُحيي جَفَافاً. .
ويحفُرُ في الأرْضِ جَدْولَ مَاءْ. . !!

فعشْقِيَ بَحْرٌ سَيَمْتَدّ عَبْرَ السّنين . .
إِلَى أَبَدِ الآبِدِينْ . . .
مَدَى الْكَوْنِ فِيهِ . . .
مَدَى الْيَمِّ فِيهِ . . .
وَتَغْسِلُ شُطْآنَ بَحْرِيَ
شَمْسُ النَّهارِ وضَوْءُ الْقَمَرْ . . .
وحينَ يُنَادِي عَلَيَّ الحبيبْ . . .
وأسْمَعُ نَجْواهُ بينَ الشَّواهِق ،
هُنَاكَ أَرَانِيَ أَشْدُو
وأَمْتَدُّ مِثْلَ امْتدادِ الأَزَلْ . ! !

* * *

وحِينَ يجيءُ اللِّقَاءُ
وحينَ يُضيءُ الأَمَلْ . ! !
سأجثو أَمَامَكْ . ! !
وأَرْفعُ رَأْسِي إِلَى الْقِمَم الْعَالِيَاتْ . .
وأَحْظَى بِنَشْوَةِ آفاقِها المُتْرَعاتْ . .

وأَدْنُو مِنَ النُّور

بَلْ رُبَّما وَجَدْتُ الطريق إِلَى الشُّرُفَاتْ

وأَعْلَنْتُ آلامَ عِشْقِي . .

عَسَى أَنْ تَضُمَّ شَتَاتي إِلَيْكَ . ! !

وبَيْنَ يَدَيْكَ . ! !

فَخُذْني إِلَيْكَ . . ! !

وضَيِّقْ عَلَيَّ الْعِنَاقْ . . .

ولاَ تَتْرُكَنِّي أَسِيرَ الْفِراقْ . .

* * *

فَبُشْرَى وصَالِكَ

بُشْرَى الْخَلاَصْ . ! !

وبُشْرى الأَمَانْ . .

وضَمَّةُ صَدْرِكْ

حَنَانُ الْحَنَانْ . . ! !

* * *

وَحِينَ يكونُ الحبيبُ مَعِي . .

أَطُوفُ طَليقاً بِكُلِّ الْفَضَاءِ . .
وفَوْقَ الزَّمانْ . . .
وأَهْرُبُ مِنْ سِجْنِ هَذَا الْكيانْ . . .
فلَيْسَ بِقَلْبِي خَيَالٌ
سِوى أَنْ أَرَاكْ . .
فإنْ لاَمَسَتْني يَداكْ
سَأَنْهَضُ مِنْ رقْدَتي في التُّرَابْ
وأُصْبحُ غَضَّ الإِهَابِ وجَمَّ الشَّبَابْ . ! !

* * *

فإنِّي تَعَوَّدْتُ يَا رَبُّ مِنْكَ
إِذَا ما تَخَشَّبَ قَلْبي . .
وجَفَّتْ سَنَابِلُهُ وَرُؤَاهُ . . ! !
فَجُرعَةُ حُبٍّ تُعيدُ الحياهْ
وَتَجْعَلُني أَزْرَعُ الْحُبَّ
فَوْقَ الْعيُونِ وَفَوْقَ الشِّفَاهْ

سبتمبر ١٩٩٤

أعطُوني النَّجاةَ من الألَمِ والْوَيْل

(١)

مَنْ ذَا يَهْدِيني لِطَريقي . . ؟
مَنْ ذَا يَحْميني . ! !
فَأَنا ثَمِلٌ . . .
لكنَّي أيْضاً مَجنونْ . . ! !

(٢)

حِسُّ الْعَبَثَّيةِ يَخنِقني
يَفْرِضُهُ الْعَالَمُ مِنْ حَوْلي
ويُطارِدُني
في مَطْلَع صُبْحي . . في مَغْربِ شمَسي

في نَوْمي . . في صَحْوي
واليومَ أخوضُ خِضَمًّا يَمْلأُه التَّافِهُ والغثّْ
والعقلُ بثورتِه وتمردِه الهَشّْ
يَعْجَز أنْ يُضْفِيَ شيئاً من بَهْجَةْ .
شَيْئاً من فَرْحةْ
في عَيْنِ الإنسانِ المَقْهورِ المحزونْ
أو مَنْ يَشكُون أُوَارَ الجُرْحِ . . أُوَرارَ النَّزْفْ

(٣)

مَنْ مِنكُم شَاهد ظُلْماً في الدّنْيا
كالظُّلْمِ الْوَاقع في «البوسنة»
شعبٌ تَرْكُلُهُ الأقْدَامْ
وتُداسُ عظامُ الموتى ! !
وبِكلِ فَخارْ . ! !
أطفالٌ تُذْبَحُ بالْجُمْلَةْ
وبكلِّ الإِصْرَارْ ! !
هلَ ثَمَّةَ أفْظَعُ مِنْ هَذَا عُهْرٌ أوْ عَارْ . ! !

والعالَمُ أبكمُ لا يَسْمَعُ لا يتكلَّمْ
بَلْ يَشْربُ يأكُلُ أوْ يتناسلْ!!
لاَ يَعْبأُ أنْ يَبْقى سَاحَةَ إِعْدَام عَلَنِيَّةْ
تكْريساً لِلفَوْضى . . . لِلْهَمجِيَّةْ
وسِتاراً بينَ المَرْءِ وبَيْنَ أَخِيهْ!!

(٤)

قَصْفُ الْفُولاذِ يَرِنُّ بأُذْني
يُطفىءُ أنواراً . . .
ويُشوِّهُ زَهْراً في المهْدْ . !!
ويُمزِّقُ وجهاً أبيض أمْلَسَ مِثْلَ الوَرْدْ . !!
فإِلَى أيْنَ . . . إلى أيْنْ؟!!
من ذا يَهْديني لطريقي؟ .
يا رَبّ متى يَنبضُ هذا العالَمُ نورا . . ؟
ومتى يَنبض قَمْحاً وزُهورا . ؟ .

(٥)

حاوَلْتُ النَّظر إلى نَفْسي . . .

أتأمل أعماقي . . .
فَوَجْدتُ الظَّلْمَ يُشوِّهُ وَجْهي . ! !
فأطالبُ نَفْسي بالحركةْ
فِزيائياً أو ذِهْنياً
حَاوَلْتُ هُنَيْهَةْ
لكني كدْتُ أَمِيدْ
لا شَيْء يُفيدْ . !
وصَرَخْتُ . . ! !
فالشِّعر صُراخي في البَرِيَّةْ
الشِّعْر صُراخُ الإنسانِ الْمُسْتَوْحِشْ
وبكيتُ . . ! !
فالدَّمْعُ هُوَ الإِنْسَانْ . ! !

(٦)

مَنْ ذا يَهْديني لطريقي . ؟
مَنْ ذا يَحْميني ؟ .
قالُوا : بالرُّوح وبالفَنْ . .

بالشّعْرِ وبالْحُبّ. . .
تَنْفَكُ الأَزْمَةْ!!
تَنقشعُ الغُمَّةْ!!
هل بالشِّعْر يُقَاوَمُ حِسُّ العَبَثِيَّةْ. ؟.
هل يَقْدرُ حبي أَنْ يَقْذِفَ هذا الغليانْ. .
هذا البُرْكانْ. . !!
حقّاً. . «إن الحُبَّ يُغَيِّرُ خَارِطَةَ الأَزْمَانْ»
لكنَّ الأَفضَلَ أَلاَّ تُجْهدَ عَقْلَكْ!!
فالعالَمْ لا يَعْرِفُ هذا النوعَ من الحبّ!!
وطبيعتُهُ أعْقدُ مِنْ ذَنَبِ الضَّبْ!!
العالَمُ لم يتكاملْ بَعْدْ
ذِهْنياً أوْ رُوحياً. . !!
العالَمُ يحْيَا ويُفكِّرُ كالأَحَدِ المُفْرَدْ!!
لا كالكُلِّ الْوَاحِدْ. . .
عفواً ما كنتُ أَظُنُّ بأنَّ الْعَالَمَ مِثْلى
لَمْ يَنْضَجْ بَعْد. !!

وسأبْقى وَخدي. وسَتَبْقَى وحْدَكْ!!
حتى تأتي أَعراسُ الْوَحْدَةِ
بينَ اللهِ وبَيْنَ العالمْ...
بينَ النَّاسِ وبينَ النَّاسْ...
وسَكَتُّ، فَقَدْتُ النطْقَ، فَقَدْتُ الفَهْمْ.!!
فأَنَا مَشْدوهٌ لاَ أَدْرِي.!!!
هل تَدْري أنت؟.
سامِحْني... فالواضِحُ أَنّي ثَمِلٌ
لكني أيْضاً مَجْنون..!!

يناير ١٩٩٤

وَفِيكَ انْطَوى الْعَالَمُ الأكْبَرُ . .

(١)

تهبُّ عليكِ رِياحُ الجَنُوبِ
تَهبُّ عَلَيْكِ رياحُ الشَّمَالِ!!
وألْفَيْتُ فيكِ جميعَ الفُصولْ . !!
تَغُوصِينَ يا نَفسُ في البرِّ والبَّحْرِ
بَحْثاً عِنِ الرُّوح . . رُوح الحياة . . ورُوحِ الْجَمَالْ . !!
وكلِّ الَّذِي جَاءَ يَوماً ورَاحْ . .
وَيَظْهَرُ في كُلِّ جِيلِ وآنْ . !!
تَذُوبين عِشْقاً وتَشْقَيْن مِنْ أَجْلِ سِرٍّ
بَعيدِ المنَالْ . . .

ولا تَهْدئينْ . . ! !
حَنيناً لتوحِيدِ رُوحِكِ بالآخَرينْ . .
وتكوينِ دُنْيا مِنَ العاشقينْ . ! !

(٢)

أُفَتِّشُ عَنْكَ جميعَ الشَّوَاطىءِ . .
وحَقْلَ الفَرَاشَاتِ والْياسَمينْ ! !
فَمَا زِلْتُ أرْفَعُ رَايَاتِ عِشْقِكَ عَبْرَ السِّنِينْ . ! !
أُجَنَّ عَلَيْكَ وأبْحَثُ عَنْكَ
هُنَا وهُنَاكَ . .
وأغْرَقُ في لحظاتِ الجنونْ . ! !
فإنِّي إذَا مَا رَأَيْتُ عُيونَكَ
أعذُو فَتَافِيتَ ضَوْءٍ . ! !
وأشْعُرُ أَنِّي مَلَكْتُ الأَبَدْ . .
وأَنْ لَيْسَ مِثْلِيَ بَيْنَ الأَنَامِ أَحَدْ ! !
أخيراً عَرَفْتُ بأَنَّ وَرَاءَ الحدُودِ مَكَانَكْ
فعاهَدْتُ نَفْسِيَ ألاَّ أنامَ .

إلَى أَنْ أرَاكْ . ! !
فإنّي بِقُرْبكَ أُصْبحُ حُرَّاً . . .
وأشْعُرُ أَنّي تَحَوَّلْتُ ضَوْءاً وَشِعْرَا
تَحوَّلْتُ فَجْرا . . تَحَوَّلْتُ زَهْرَا ! !
وصِرْتُ عَبيرَا ! !
وَتُوِّجْتُ فَوْقَ العُرُوشِ أَمِيرَا . .

(٣)

عَجِبْتُ لقَدْرَة نَفْسي عَلَى الاتِّصَالْ
على الانْفِصَالْ . ! !
عجبْتُ لها وهي تَسْمُو مِنَ الطِّينِ
تَعْبُرُ من أرْضِنَا للسَّماءْ ! !
وتَخْطُو رُوَيْداً إلَى السِّرِّ . .
سِرِّ الطريقِ وسِرِّ البَقَاءْ ! !
عَجِبْتُ ، وقد أدْرَكَتْ فجأةً . .
مَرَارَةَ جَوْرِ الْحَيَاةِ وجَوْرِ الْفَنَاءْ ! !
عَجِبْتُ لَها وهيَ تَدْنُو مِنَ الكأْسِ

ثم تُقَربُها مِنْ يَدَي في الْخفَاءِ. !!
تَقولُ: أبَتهجْ.. وتَقُولُ: ابْتَعِدْ
عَنِ الأرضِ.. أرْضِ الشّقَاقِ وأرْضِ الجَفَاءِ!!
فَقُلْتُ: إلَى أين أَذْهَبُ.؟
قالَتْ: إلَى عَالَم الْحَرفِ والصَّوْتِ والْعِشْقِ
حيثُ الْبَسَاتينُ.. حيثُ الضِّياءُ. !!

(٤)

هُنَاكَ تَمزّقُ نَفْسُكَ كُلَّ رِدَاءٍ!!
وَتُصْبِحُ طيراً بِغَيْرِ جَنَاحْ. !!
وتَسْكُنُ في عَالَمِ الَّلامَكانْ!!
وتَسْلَمُ مِنْ حَادِثَاتِ الَّزمَانْ!!
وتَمْسَحُ عَنْكَ غُبَارَ الحياةْ..
وأَنْشُرُ حُبّي بِكُلِّ اللُّغَاتْ. !!
وأبْقَى قصيدةَ شِعْرِ
قصيدةَ حُبٍّ مِنَ الخالِدَاتْ.. !!
وأتْرُكُ ما هُوَ مَاضٍ لِمَا هُوَ آتْ!!

وأغْدُو كَشَخْصٍ رَمَى جَمْرَ أَيَّامِهِ
ثُمَّ فَرَّ إِلَى عَالَمِ المُعْجِزَاتْ!!
فإِنَّ الْوُجُودَ بِبَغْضَائِهِ.. وفُولاَذِهِ!!
جَحِيمٌ وناز..!!
حَصَادُ هَشِيم.. وقَبْضُ رِياحِ
وإِثْمٌ.. وَعَارْ..!!

إبريل ١٩٩٤

يُونُسُ في بَطْنِ الْحُوت

«من قال إنَّ الأرض، هذه العجوز الشمطاء قد فرغت من قَصّ الأقاصيص!!
هذه الهرة المجنونة تُرضع أولادَها ثم تأكلهم في نِهاية الأمر. !!!»

«حافظ الشيرازي».

(١)

عُصْفُورٌ يَتَجَمَّدُ في الرِّيحْ. !!
يَتَعَثَّرُ في التِّيهِ وَفِي الظُّلْمةْ. !!
مَنْذَا يَهْدِيني لِمَكَاني؟!
أَأَنَا في الحَاضِرِ أَمْ في الْمَاضي؟!
أمْ جَاوَزْتُ حَوَائطَ أَيَّامِي. ؟.
هل لَمْ يَعُد الزَّمنُ اليومَ زَمَاني!؟.
هل أُعلِنُ أَنِّي لَسْت (أَنَا)؟!

أَشْعُرُ أَنِّي أَنْأَىَ الآنَ. !!
وأَنِّي لَسْتُ هُنَا. !!

(٢)

تَتَحَّركُ في شَفَتَيَّ لُغَاتٌ أُخْرَى
تَسْقُطُ كالأَمْطارِ سَماوِيَّةْ. !!
وحُرُوفٌ يَرْسُمُها البَرْقْ. .
تَتَوَّهجُ كَإِشَارَاتٍ ضَوْئِيةْ. . .
لاَ يُحْصِيها عَدٌّ. . !!
تَتَنَاثَر كنُجوم اللَّيْلِ الأَبَدِيَّةْ. !!
لَكنْ ـ يَا لَلْوَحْشَةْ ـ!!
لا يَفْهَمُها أَحَدٌ. !!
وكأَني أَنطِقُ لُغَةً وَهْمِيَّةْ!!
وأَعُودُ فأنزلُ في بُطْءٍ دَاخِلَ نَفْسي
وأُصَوِّرُها بِخُطُوطٍ كَأَغَانٍ صِوفيَّةْ. . !!
فإِذَا الْخَارِجُ والدَّاخِلُ ضِدَّانُ!!
وإِذَا الْعَالَمُ يَتَفَجَّرُ في قَبْضَتِي الآنْ. !!
وأَرَاني مَذْهُولاً أَتَخَبَّطُ دَاخِلَ آفاقٍ وحْشِيَّةْ. !!
لَيسَ أَمَامي غَيْرُ مِساحاتٍ خَرْسَاءْ. .

ومُحيطاتٍ للُرغبْ . .
حتَّى لكأنِّي أحْيَا وَحْدي . .
في صَحْراءٍ بَلْقَاءْ . ! !
تَخْلُو حَتَّى مِنْ قَطْرَةِ مَاءْ . . !

(٣)

هَـٰذا الْعَالمُ يتَراءَى حَوْلي شَوْكِيَّ الشَّفَتِينِ غَرِيبَا . ! !
وَيَعُجُّ ذُنُوبَا . ! !
وكأنَّ بُذورَ الشَّرِّ انتَشَرَتْ وَتمَادَتْ فِي رَحِمِ الْكَوْنْ . ! !
فَعَجِبْتُ لِعَهْدٍ كُنْتُ أَرَاقِبُ فيه طُلُوعَ الشَّمْسِ طَرُوبَا . ! !
وأُعَانِقُ كُلَّ النَّاسِ رَفِيقاً وحَبيبا . ! !
وأَجُرُّ الأَحْلامَ وَرَائي وأمَامِي وأفِرُّ لَعُوبَا . ! !
لكنِّي اليومَ أُحِسُّ بأنِّي أَسْقُطُ في قَاعِ كمين! !
وَحْدِي في قاعِ كمينْ . . . ! !
أتدَحْرجُ كإناءٍ مِنْ طِين . ! !
أَتكَسَّرُ . . أَصْرُخُ من غيرِ أنين . ! !

(٤)

عُصْفُورٌ يتجَّمدُ في الرِيحْ . .
يَتَعَثَّرْ . ! !

أَجْنِحَتِي مَا زَالَتْ حَيَّةْ . ! !
وتُرَفْرِفُ بالْحُبِّ . ! !
ولَكِنْ مَجْرُوحةْ . . ! !
مُرْهقَةُ الحِسِّ وَمذْبُوحَةْ ! !
وبِصَدْري أناتٌ مَكبُوتَةْ . ! !
مَلأَىَ بِلُهاثِ الذُّعْرِ وبالْخَيْبَة . .
وأُحَاوِلُ دَفْعَ الصَّخْرَة . للذِّرْوَةْ . .
أحْمِلُها . ! !
وأَعُودُ فأنزِلُ أَتبعُها
دُنْيا مُخيِيَةٌ قَاتِلَةٌ ! !
يَمْلأُهَا القنَّاصَةُ مِخْتَبئينْ . ! !
أنْيابٌ زَرْقَاءُ تمتد إليّ
تتربَّصُ . . تنقضُّ عليَّ
تَنْهَشني . .
بينَ الحين وبَيْنَ الحينْ . ! !
تَنْهشُ كَبِدي . .
وَيدٌ تَحْمِلُ فأُسَاً . .
تَهْدِمُني . .

وَيَدٌ أُخْرى تَبْنِيني. !!
حتَّى آمَالي أفْراحِي
تَعْبُرُ مِثْلَ الْغَيْمْ. !!
وَمَعَ الفَجْر الطَّالع تَتَلاشَى!.
أحْيَا كيْ أَتَفتَّتْ..
أتكَرَّرُ حَتَّى الظَّلْمَة. !!
فمتى تَتَلاَحَمُ أجْزائي!؟
تتجمعُ أشْلائي!؟
ومتى أنهضُ لأنامَ معَ الأقمار؟
أتجاذبُ قولَ الشِّعْرِ مَعَ الشُّعرَاءِ..
أتطَّهرُ بالإِصْغَاءِ وبالأَضْواءِ!!

(٥)

لكنْ كيفَ؟ وهَذَا الْعَالَمُ حُوتْ
فيلٌ ضخمٌ أُطْلِقَ في الْكَوْنْ..
يَذْهَسُني..
يَذْهَسُ كُلَّ الأطفالْ..

يُنجِبُ عشَراتِ الأَفيالْ
يَقْطَعُ مِثْلَ السَّيْفْ!!
يَقْتَلِعُ الأَغْصانْ. !!
يَضربُ مِثْلَ الْبُرْكانْ. .
يَغْزُو كلَّ مكانْ. .
ويعيثُ فَسَاداً في الأرْضْ!!
الْقَهْرُ. . الإذْلالُ. . الْعُدوانْ
شوَّهَتْ الْعَيْنَينْ. .
وأطَاحَتْ بِبراءةِ قلْبِ الإنْسَانْ
فالْعالَمُ حُوتْ. !!
يَلْقُمُني مُنْذُ وُلِدْتْ. .
يَعْصُرُني. . .
أَسْمَعُ مَنْ يأْمُرُني:
لا تَرْفَعْ رَأْسَكْ. !!
فَالجَلاَّدُونَ جَميعاً حَولكْ. .
بالسَّوْطِ وبالأحْذِيةِ الضَّخْمَةِ حَوْلَك. !!

والنَّاسُ رُكُوعْ. !!
لا ترفَعْ رَأْسَكْ..
فالجلاَّدُونَ جميعاً حولَكْ. !!

(٦)

غامتْ كلَّ الأَشْياءْ..
كلُّ الأشْكَالْ..
تَمطَّى مثلَ الشَّيْطانْ..
وكأَنَّ الشيطان يَمُدُّ لِسَاناً
يَسْخَرُ مِنِّي..
وأَنَا مَسْلُوبُ الحِسّ..
أَعْجَزُ عَنْ لَمْلَمة النَّفْسْ. !!
ودِماءُ الناسِ تَسيلْ
مِنْ عُنُقٍ شَفَّافٍ كالبلُّوز
وصُداعٌ يَحْصُدُ رَأْسِي كالِمنْجَلْ..
يَحْصُدُني. !!
وأَنا مُخْتَنِقٌ في عُنُقِ زُجَاجَةْ..

مِنْ أَعْماق الصَّمْتْ . .

أَرْفَعُ صَوْتي

فَيَمُوتُ الصَّوْتْ . ! !

أتوَسَّلُ وأغيبُ عن الْوعيْ . .

أشْعُرُ أَنِّي عَطْشَانْ . .

مَنْهُوكٌ

أَتَمنَّى لَحْظةَ قوَّةْ

قطرةً مَاءْ . ! !

تهتزُّ الأشياءْ . .

تَتَداخَلُ . . تَتَراقَصْ . .

رَأْسي مَغْمُورٌ في الماءْ

ماءٌ طينيٌّ مَالِحْ . ! !

فَصَرَخْتُ . . ثَمِلْتُ . . جُنِنْتْ . ! !

مَلْعُونٌ هَذَا الْحُوتْ . ! !

(٧)

بَيْنَ الجُدْرَانِ الصَّخْرِيَّةِ تمتدُّ مَتَاهَاتي

فمتى أَنْجو مِنْ مَوْتٍ يَمْتَدُّ طَوالَ الْعُمْر؟
ومَتَى أهربُ مِنْ قيظِ حَيَاتي.؟!
قيظٍ يَفْتَرِسُ الحبَّ، ويَفْتَرِسُ الهَمْسْ
هَمْسَ النَّفْسِ إلى النَّفْسْ.!!

(٨)

جَسَدي يَهْفُو لِعَبادَهْ..
تُنْقِذُ عَجْزَ الإِنْسانْ..
عَجْزاً كَانَ مِنَ الْبَدْءِ
ويَجْري لِنهاياتِ الأَزْمانْ
جَسَدي يَهْفُو لِعبادَهْ.!!
تجعلُني أَسْمُو فَوْقَ الذاتيَّةْ
أَتَكَلَّمُ لُغَةً كَوْنيةْ...
تَتَعدَّى الرُّوحْ..
جُرْحٌ أَعْظَمُ مِنْ أيِّ جُروحْ..
أَنْ تُحْرَمَ شَفَةُ الإِنْسانِ مِنَ الحبّ
فالْعيشُ بغَيْرِ الحبِّ خَرَابْ

هُو مِثْلُ الْعينِ بِلاَ أهْدَابْ . . .

(٩)

ليتَ الْعَالَمَ يَعْرفُ قَدْرَ الحبِّ
ويُطلقُ في الجوِّ حمائمهُ البَيْضَاء
ويُطالِعَنا فَجْرٌ مِنْ داخِلِنَا . .
فيُطَهِّر قَلْبَ الإنْسانْ
وَيُعيدُ إلَيْنَا جَنَّتَنا الْخَضْرَاء . .
وأقُولُ لأَوْلاَدِي . .
الْعَالَمُ أصبحَ نافورةَ ماءْ
تَتَفجَّر فيهِ الأنْهارْ . . .
ويَفُوحُ الْوَرْدُ وتضحوُ الأزهارْ
فالعالَم أَصْبَحَ نافورةَ ماءْ . !!
بَلْ إنَّ الْعَالَمَ أصْبَحَ أُنثَى . !!
تأخُذُني بيْنَ ذِرَاعَيْها . . .
تتوَّحدُ بي . تَعْشَقُني
وتُشيعُ الْبَهْجَة في بَدَنِي . !!

وَهُنا سَتَدِبُّ الْخُضْرةُ في خَشَبي!!
وأُحسُّ شُموعاً تَتوهَّجُ فِي قَلْبي.!!
وَأكونُ قريباً مِنْ رَبي.!!
وَأقولُ لأوْلادي:
سَيكونُ لَنا سَقْفٌ.. وَنَنامُ بِلاَ أَشْجانْ!!
ونُلاقي في وَجْهِ النَّاسِ الإنْسانْ.!!
في تِلْكَ السَّاعةْ:
تَتَبدَّد أَشْبَاحُ العُزْلَةْ.!!
لاَ جُوعٌ، بَعْدُ، ولاَ فَقْرٌ ومَذَلَّةْ!!
بَلْ أَمْنٌ مُمْتَدٌّ...
بَلْ شَمْسٌ أبَديَّةْ..
شَمْسُ الْحُبِّ..
وَشَمْسُ الْحُريَّةْ..

إبريل ١٩٩٥

الشـــروق

سأراكِ

حَـدَّثَ الْـقَـلْـبُ بـأَنِّـي عَـنْ قـريـبٍ سَـأَراكِ
أَصَـحـيـحٌ قَـبِـلَ الله دُعَـائـي. . . ودُعـاكِ؟
أَم هـيِ الـنـشـوةُ بِـالْـقَـلْـبِ فـيـهـذي بِـلـقَـاكِ
صَـارِحِـيـنـي! أَتُـحِـسِّـيـنَ بـأَنِّـي سَـأَرَاكِ؟

* * *

أَنَـا لاَ أَدرِي، ولـكـنْ رُبـمـا قـلـبُـكِ يَـدْري
بينَ قلبينا على البُعْد حديثُ الوجدِ يَسْرِي
والذي يَجري على قلبي، على قلبِكِ يَجْري
فَـسَـلِـيـهِ ثُـمَّ لاَ تُـخْـفـى عـلـيَّ، هَـلْ أَراكِ؟

* * *

عـنـدمـا أشـفـقَ لَـيْـلِـي مِـنْ بُـكَـائـي وحَـنـيـنـي

عندما رقَّ لحالي، ورأيَ سُقْمَ جُفُوني
زَارَنِي طيفُكَ في مهدىَ كالأمِّ الحَنونِ
وسَرَتْ في القَلْبِ بُشْرَى أَنَّني سَوْفَ أراكِ

* * *

سَوْفَ يُؤْوِيني جنَاحَاكِ، وأحْظى بِرضاكِ
سوف أشكو لكِ ما بي وستشكين جَوَاكِ
سوفَ أَرْوِي ظَمَأَي القاتلَ من نَبْعِ جَنَاكِ
كلُّ هذَا، عندما يصدقُ وحيي وأراك

* * *

أين ذاكَ اليومُ مني؟ ليتني اليومَ أطيرُ
ليتني الحلمُ إلى عُشِّكِ في اللَّيل يسيرُ
ليتَني البسمةُ في ثغركِ تَغْلُو وتُنيرُ
لاَ . . . بَلِ المتْعَةُ عِنْدي أَنَّني سَوْفَ أراكِ

* * *

رُؤْيَتِي وَجْهَكِ أشْهَى من ضياءٍ لضريرِ
فيه إشعاعُ حَنانٍ شعَّ في القلبِ الكسيرِ

قَرِّبيني!! بل دَعيني أنتَظِرْ يومَ مَسيري
فمَتاعُ الرُّوحِ في ترديدِ أَنِّي سَأَرَاكِ

* * *

حَدَّثَ القَلْبُ بأَنِّي عَنْ قَريب سَأَرَاكِ
أَصَحيحٌ قِبَلَ الله دُعائِي وَدُعَاكِ؟
أَمْ هِيَ النشوةُ بالقلْبِ فَيَهذِي بِلقَاكِ؟
صَارحيني، أتُحِسِّينَ بأَنيَّ سأَرَاكِ؟

الإسكندرية ١٩٤٢

الجوع[1]

أَلْقَتِ الأَقْدَارُ في قَلْبي عَلَى الْغَفْلَة حَبَّةْ
وسَرِيعاً وثَبَتْ أغصانُها في الجَوِّ وَثْبةْ
مـلأتْ كُـلَّ فـضـاءٍ وتَـعَـالَـتْ مُـشْـرَئِـبَّـةْ
وبَـدَا كُـلُّ نَـبَـاتٍ حَـوْلَـهـا يَـذْبُـلُ هَـيْـبَـةْ

* * *

نَـضِـجَ الـفَـرْعُ وَشِـيـكـاً وتَـدَلَّـى بـالـثِّـمـارْ
قُـطُـفٌ لَـمْ يَـشْـهَـدِ الـلَّـيْـلُ مَـثـيـلاً والـنَّـهَـار
مِـثْـلَـهـا لَـمْ يَـتَـذَوَّقْ مَـلَـكٌ فـي أيِّ دَارْ
وجَـنَـاهـا عَـزَّ أَنْ يَـنْـبُـتَ والأرضُ تَـحَـارْ

---

(١) القصيدة مستوحاة من قصيدة نثرية لميخائيل نعيمة بنفس العنوان في ديوانه «همس الجفون».

وهُنَا مِنْ مَاءِ قَلْبِي تَختَسي دَوْماً غِذَاها
إنْ أَجُعْ يوماً وتَبْلى النَّفْسُ من فَرْطِ طَوَاها
هَلْ تُرانِي أبتغِي العيشَ عَلَى حُلْوِ جَنَاها؟
خَشِيتْ نَفسي وهابَتْ، كَيْفَ تَمْتَدُّ يَدَاها؟

الإسكندرية ١٩٤٣

الغابة المقدسة

سَأَظَلُّ في تِيهِ وفي هذيانِ
ما دُمْتُ ذا فِكْرٍ وذَا وجْدَانِ
أَنَا في ضجيجِ الناسِ صوتٌ ضائعٌ
أَنِّي ذَهَبْتُ ضجيجهُم يَغْشاني
أَخْشَى عَلَى أُذْنِي صُرَاخَ حَدِيثِهِمْ
وأخافُ من فَزَعٍ عَلَى إيماني
أنَا لا أراهمْ في الضجيجِ وإنما
في عُزلتي بينَ الرُّبَا والْبَانِ
والناسُ قد أسرتْهُمْ أطماعُهُم
يستعذبونَ العيشَ في أكْفَانِ

صلواتُهم رغباتُهم، وإلَهُهم
شبحٌ من الأوهامِ والبهتانِ
من مَاتَ منهم لا يَمَلُّ مَوَاتَهُ
ويَظَلُّ في جَدَثٍ مَدَى الأزمَانِ
أُعْجِبْتُ بالإنسانِ يحطِمُ قَيْدَهُ
ويفرُّ من أسرٍ ومِنْ قُضبَانِ
ويسيرُ في ركبِ الوجودِ مرنماً
لحنَ الطبيعةِ أصدَقَ الألحانِ
غَرِّدْ مع العصفورِ في أوكارِهِ
وارْحَلْ مع الأطيارِ في الأكوانِ
واهبِطْ إلى الأدغالِ يوماً فائتلفْ
آسادَها، وارتَعْ مَعَ الْغِزْلاَنِ
فالتُّرْبُ يَجْمَعُنا وفي ذَرَّاتِهِ
الْوَحْشُ والإنسانُ يَلْتَقيانِ
قد سِرْتُ في غَلَسِ الدُّجى ونجومِهِ
وشَرِبتُ مِنْ يَدِ فَجْرِهِ الرَّيَّانِ

وسكنْتُ للبحرِ العظيمِ، سكونُهُ
وهَـديـرُهُ الـوَحْـشـيُّ لِـي سـيـانِ
طـابَتْ لـه أُذْني، وطـابَ صُـرَاخُـهُ
أشـجـانُـه فـي غَـضْـبَـةِ أشْـجَـانـي
إنْ جِئْتُهُ تَنـجَابُ سـحْبُ كَآبتي
وأَثُوبُ مِنْ خَوْفِي ومِنْ أَحْزَانِـي
كَـمْ كُـنـتُ أفْـزَعُ أن تَـبَـدَّدَ شُـعْـلَـتي
فـيـردَّهَـا قَـبَـسـاً مـتـى يَـلْـقَـانـي
لاَ أحْتَسي خَمْرَ الكؤوسِ وإنما
أَنَـا أحـتـسـي مـن لُـجِّـهِ الْـمَـلآنِ
وصديقتي الشمسُ التي من نارِها
وغُـبـارِهـا الـذهـبـيِّ أصلُ كـيـانـي
أَبَدِّيةٌ فـي حُـسْـنِـهـا، وشـعـاعُـهـا
فـوقَ الـتِّـلالِ أصـابـعُ الـرَّحْـمـنِ
فكَّتْ قُيُودَ جَهَالتي فَعَشِقْتُها
وفُـتِـنْـتُ فـي شَـعْـرٍ لَـهَـا فَـتَّـانِ

عِنْدَ انتصافِ الليلِ يطرُقُ طارقٌ
هو فجرُها بالبابِ قَدْ وَافاني
فأَقومُ مشغوفَ الفؤادِ متيماً
لأَرى جدائلَ شعرِها وتَرَاني
أحبَبْتُها عندَ الصباحِ وفي المسا
ومعَ الضُّحَى تَلْهُو مع الصبيانِ
أَنَا أُمَّتي هَذي السَّمَا وعشيرتي
أفلاكُها، وفضاؤها أوطاني
حَلِّقْ مَعِي فَوقَ الريَاحِ ولا تَكُنْ
متلاصقاً بالأرضِ كالجرْذَانِ
أَنَا في ظِلاَلِ حَديقتي مُتَسَلِّقٌ
قُنَنَ الجِبَالِ وأيْكَةَ الْوديَانِ
لي من وراءِ أزقَتي غابٌ أَرَى
فيهِ الْمَحَّبَةَ رَطْبَةَ الأفْنَانِ
لَيْتَ السَّلاَحِفَ تنثني عن بُطْئِها
وتَكونُ مِثْلَ الظَّبيْ في الْجَريانِ

الـجِـذْرُ لاَ يُـعـطـي الـثـمـارَ وإنـمـا
ثَـمَـراتُـنـا تُـجْـنـى مِـنَ الأغْـصَـانِ
قـيـثـارتـي عـنـد الْـجَـمِـيـعِ وإنـمـا
نـغـمـاتـهـا تَـنْـسَـابُ لِـلْـفَـنَّـانِ
أنـا إذْ أُعـلِّـمُ لا أعـلِّـمُ حِـكْـمَـتـي
بَـلْ أكـتـفـي بـمـحَـبَّـتِـي وحَـنَـانِـي

الإسكندرية ١٩٥١

لحن النبوّة

تِلْكَ ذِكْرَى عَلَى المَدَى تَتَجَدَّدْ
فأْتِ يا شِعْرُ بالرَّقيقِ الْمُنَضَّدْ
وسَلِ الْكَونَ أَنْ يُزَانَ ابتهاجاً
وَدَعِ الشَّذْوَ في القلوبِ يُرَدَّدْ
واشْدُ يا طَيْرُ في الرِّياضِ غِنَاءَ
عَبْقَرِياً، فذاكَ يومُ مُحمَّدْ
رَجُلٌ عَلَّمَ الرُّجُولَةَ لِلْخَلْقِ،
ومَا زَالَ في الرُّجُولَة. . . أَوحَدْ
وَهَبَ النَفْس والنَّفائسَ لِلْحَق
فَأَعْلَى البِناءَ مِنْهُ وَشَيَّدْ

هِـمَّـةٌ تَـصَـرَع الـخُـطـوبَ جَـمِـيـعـاً
وثـبـاتٌ وفـطـنـةٌ تـتـوقَّـدْ
وُلـدَ الْـحـيْـرُ والـجـمـالُ ولَـحـنٌ
من لُحونِ السماءِ في يَومِ أَحْمَدْ
أيُّ لَـحْـنٍ يَـهُـزُّ كُـلَّ كِـيـانـي
إن تَـسَـمَّـعْـتُ، أو إذا هـو غَـرَّدْ
فـدَع الـنَّـايَ والـقـصـيـدَ وَدَعْـنـي
ذَاكَ لحنُ الخلود مَا زَالَ يُنْشَدْ
جِئتَ والزرعُ في الرياضِ جديبٌ
وتـولَّـيْـتَ والـرُّبَـا تَـتَـأوَّد
راعَـكَ الْـجَـذْبُ فـانـطَـلَـقْـتَ تُـروِّي
هـامـةَ الـقَـفْـرِ بـالـنَّـمِـيـرِ الـمُـزَوَّدْ
تَـلْـتَـقـي بـالـصُّـخُـورِ فـي كُـلِّ وَادٍ
جَـلْـمَـدٌ يَـرْعَـوِي وَآخَـرُ يَـجْـحَـدْ
وَعَـلَـى وَجْـهِـكَ ابـتـسـامـةُ حـر
في سبيلِ الطريقِ يشقى ويسعدْ

(أيُّها المزْهي إذا مَسَّكَ الشَّوْكُ
فَلاَ تَشْتَكِي وَلاَ تَتَنَهَّدْ)
فتنةُ العيشِ أن يَذوبَ معَ
الكَوْنِ، وإن خِلْتَ أنَّه يَتفَردْ
وثَبَتْ روحُه الفتيةُ بالناسِ وُثُوبَ
الزمانِ بَلْ هُوَ أَبْعَدْ
كُنتَ تَصْفُو مع الصباح إذا
هَلَّ وتصفُو إذا الصباحُ تلبَّدْ
وتَرى الخيرَ في الضعيفِ يُرجَّى
مثلَما الخيرُ في الْقَويِّ المَويَّدْ
هَزَّكَ اللَّحْنُ في الوجودِ فصلَّيْتَ
وفي الكَوْنِ معبَدٌ أيُّ مَعْبَدْ
كُنتَ تُصْغي إلى الفَضَاءِ مع
اللَّيْلِ وسِفْرُ الفَضَاءِ سفْرٌ مُخَلَّدْ
وعَرَفْتَ الخلودَ في أَعْيُنِ الفَجرِ
وفي الشُّهْبِ والنُّجُومِ الْخُرَّدْ

كنتَ تهفُو إلى الرمالِ وتَسْعَى
نحوَ غارٍ مُخَدَّرِ الوَجْهِ أربَدْ
وسطورُ الرِّمال في القفر تحكْي
قِصَّةَ الكونِ في الوجودِ المُوَحَّدْ
عَلَّمَتْكَ السجودَ في روعةِ الصَمْتِ
وهيَ للكونِ راكعاتٌ وسُجَّدْ
أنتَ مِثلِي من التُّرابِ ولكنْ
شَعَّ مِنْ تُرْبِكَ المُطَهَّرِ فَرْقَدْ
شَعَّ مِنْكَ الضياءُ في كلِّ قلبٍ
وغَدَتَ فحمةُ الدُّجى تتَبَدَّدْ
وانحنَتْ أعينُ السماءِ عَلَى الأرضِ
فنامتَ عَيْنُ الشَّقيِّ المُسَهَّدْ
رَدَّدَ اللحنَ خاطِري وتَغَنَّى
أنَا للَّحن عَاشِقٌ أَتَعبَّدْ

١٩٥١

قصائد النثر
أنامِل وَرعة

اللؤلؤة الأسيرة

لن أشربَ الخمر.
وقد عصَفتْ الرِّيحُ العاتيةُ ببستاني...
وابتلعَتْ العاصفةُ آخرَ طائرٍ في حدِيقَتِي...
لنْ أتكلمْ...
وأوراقُ الخريفِ صَرْعى.
وقَدْ هَجَرَتْ الطُيور بِلادي.
وارتَدّتِ الأشجارُ ثيابَها السوداءُ...
ولكنْ...
عندما تعودُ الشمسُ من رحلتِها وراءَ البِحَارْ،
ويُطْلَقُ سَراحُ اللؤلؤةِ الأسيرة،
ويخرجُ الرعاةُ خفافاً إلى أحضانِ المروجْ،

وتميسُ القُمْرُ الهائنةُ بين الوصيفاتْ،
سأشربُ الخمرَ من شَفتِكِ الحمراءْ،
وأُغَنِّي قَصَائدي...
وأبقى ثملاً لا أفيق...

لندن ١٩٥٣

بُنيَّ

بُني لا تَمْشِ في الطريق معهم . . .
امْسِكْ قَدَمَكَ . . .
وامْنَعْهَا أنْ تطأ الممرَ الذي فيه يَسِيرُون
إنَّهُم يَضَعُونَ شِبَاكَهُمْ في طريق العصافيرِ البرِيئَةْ
وهم أنفُسهم ينامون كلَّ ليلةٍ في انتظارِ الموت .
وعبثاً يتوارَوْن في الكمين خَوْفاً عَلَى حَيَاتهم .
لَقَدْ صَاحَتْ الحِكْمَة . . . .
وأرسَلَتْ كَلِمَاتِهَا في الطُّرُقَاتْ .
ابتهَلَتْ إليهِم قائلةً
تعالَوْا . . . . .
أُخَلِّصْكُمْ مِنَ الخَوفْ ،

أنتزعُ من وجوهِكُم الألمْ،
أزرعُ لكمْ أوديةَ المحبةِ والصدقْ...
فلم يَسرْ إليها أحدْ...
وما زالَتْ ذِراعاها ممتدتَين
وأصواتُها تَجْري في الطُّرُقَاتْ
بُنَيَّ لا تَمْشِ في الطريقِ مَعَهَمْ...
أَمْسِكْ قَدَمَكْ...
وامْنَعْهَا أنْ تطأَ المَمَرَّ الذي فيه يسيرون.

لندن ١٩٥٣

العصفور

لقد كنتُ عُصْفوراً من الأثيرِ في فضَاءِ اللانهاية
القريبِ من منازلِ الآلهة. . .
وكان بي شوق موروثٌ منذُ أجيالِ ما قبلَ التاريخ،
شَوْقٌ يَجْرِي في نسيج ذَرَّاتِي
منذُ كنتُ سديماً هائِماً في الفضاءِ الأعْلَى.
وفي ذات يوم عِنْدَمَا كُنْتُ في إحْدى سِياحاتي
أجتازُ الفَضَاءَ الرحيبْ
رأيتُني أقتربُ من أرضٍ غَريبَةْ. . .
شممتُ منها رائِحَةَ الخمرِ المعتقة من أجْرَانِ الشعيرْ
وسَمِعْتُ فِيهَا أصواتَ الجدوالِ الضَّاحِكَةِ بَيْنَ الحُقُول. . .
فدفَعَتْني شهوةٌ عارمةٌ أنْ أهْبِطَ هذِهِ الأرضْ. . .

وبَعْدَ شَرْبَةِ ماءٍ من جَدَاوِلِها
نَبَتَتْ أجْنِحَتِي، وجَرَتْ الدماءُ في أوْرِدَتِي.
وشَعَرْتُ بِسَعَادَةٍ دَافِئَةٍ تَغْمُرُنِي
فهمَمْتُ مِنْ فَرْحَتِي أنْ أطِيرْ...
ولكنْ هيهَاتَ هيهَاتْ... فقد التصَقَتْ أجْنِحَتِي بالأرضْ
الأرض التي لَنْ تُطْلِقَ سَرَاحِي...
حَتَّى تَسْتَرِدَ شَعِيرَهَا جَمِيعَهُ مِنْ حَوْصَلَتِي.

لندن ١٩٥٣

المَزْرَعَة

لقد تلوثَتْ ينابيعُ الخِمْرِ وكانَتْ صَافِيَةْ
وخَلا وجهُ البحيرةِ من السحابةِ البيضاءْ
واستحالَ النورُ الأبيضُ ظلاماً...
وعَادَت الخيول الوسيمةُ كالأمراء...
المُتَخَطِّرَةُ كأبْطَالِ المَعَارِكْ... إلى حَظَائِرِهَا الآسنةِ في خُمولْ.
وحديقةُ النخيل... أتى عليها مِنْجَلُ الرَّاعي.
فاسْتَحالَتْ أقزاماً.
والفتى الجميلُ... الذي كان يسْتَقي من النهرِ في إنَاء
اخْتَطَفَتْهُ عرائسُ المياهِ إلى أحْضَانِهَا،
والقصرُ الشاهقُ ذو الشرفات... الذي كانَتْ تُطِلُّ منه
بناتُ الهديلْ

قد أصبحَ ساحةً يتدرَّب فيها جنودُ المَلِكْ
كُلُّ شيءٍ في المزرعةِ قد تَغَيَّرْ
حَتَّى ذلك النسرُ الأبيضُ المحلِّقُ ذو العينينِ المُشْرِفَتَيْنِ
عَلَى الأرضْ
لم يَعُدْ يُحَلِّقُ بِجَنَاحَيْه عَلَى المَزْرَعَةْ...
فعلامَ البقاءُ يا حبيبتي!! علاّم البقاء...
إنني سأنتظِرُكِ مع شروقِ الشمسِ غداً
في زَوْرَقِي الصغير
عند حافةِ النهر
فقد وجَدْتُ لكِ مكاناً آخر

لندن ١٩٥٣

الأصْدَافُ الفَارِغَةُ

في القَيْلُولَة . . .
وقد لاذَ الرعاةُ بالغابة الأُرْجُوَانِيَّة،
وانحَنَتْ رؤُوس الأغنام على غديرٍ واحدْ،
وراقَصَ الموجُ ضُيُوفه العَذَارَى،
وصمتَت الببغاءُ الثرثارة،
وجدْتُ قلبي كالشمعة المتَّقدة يَحْتَرِقُ من أجلِهَا
ووجدتُ كلَّ عضلةٍ من عضلاتِ جَسَدِي
تريدُ أن تَسِير إليها . . .
وقد كان لي صديقٌ . . . صديقٌ ماكرْ
حدَّثني أنَّ ياقوتتي على شاطىءٍ غريب.
فتركْتُ غابتِي وأغنامي

وخرجْتُ أبحثُ عن حبيبتي
فمنذُ ولادتي وبي شغفٌ إليها
أريدُ أنْ أطوّقَ بها صَدْري
رَفَعْتُ ضَرَاعَتِي إلى الله
أنْ تُظَلِّلَ الرحمةُ طريقي
وهناكَ . . . عَلَى الشاطِىءِ الغريب
وبعْدَ سَفَرٍ طَويلْ
دَمِيَتْ عيناي وطَالَ وقوفي
لم أجِدْ ياقُوتَتِي الحمراء
فقط . . .
التَقَتْ قَدَمي العابرة
بِبِضْعَةِ أصدافٍ فَبَعْثَرْتُها . . . .

لندن ١٩٥٣

نَانْسي

الحقُول الخضراءُ نائمةٌ في الشَّمْس
والماشية ترعى . . .
رؤوسُها لم تَرْتَفِعْ بَعْد .
وكَنَجْمة من رواءِ السُّحُبْ .
ظَهَرَتْ حبيبتي
وابتسَمَتْ .
حبيبتي أندلُسِية . . واسمهُا نانسي
في خَدِّها نبيذ . . .
جوْرَبُها أخضَرْ . . .
وعلى رأسها قبعةٌ صفراءْ
في يدِهَا سَلَّة بيضاءْ

تَجْمَعُ فِيها ثِمَارَ الفراوْلة
أجْلَسَتْنِي تحْتَ ظِلٍ أخْضَرْ
ومِنْ عُودِ قَشٍّ في يَدِهَا
أرسَلتْ نَغَماً
عانَقَتْنِي عِنْدَمَا عَرَفَتْ أنَنِي:
في طُفولَتي كنتُ أرْعى المَاعِزَ في التِّلال
وعندمَا جاءَ الفجر...
كنا نبني لنا بيتاً في الجبَلْ
حبيبتي أندلُسية... واسمُها نانسي
في خدَها نبيذ... وبيتُنا في الجبلِ

لندن ١٩٥٤

جِيسيكا

عندَما اهْتَزَّتْ صِغارُ الحَمَام على صُدورِ أمهاتِها،
وجلَس القمرُ على وسادَتِه البيضاءْ،
وأمسكَتْ الأشرعةُ عن أنِيْنِهَا
ودخَلَتْ العاصفةُ المغارةَ الغَريْبةِ،
وأطْفَأَ لاعبو الورق مصباحَهُمْ،
واستسْلَمَتْ المقاعدُ إلى السكينة،
جاءَت إليَّ جيسيكا في ثيابِها البيضاءْ
فزعةً هاربةً من أبيها. . .
في ارتعاشاتِ الفرح قبَّلْتُهَا،
وعَلَى سَلالِم الفُنْدُقِ المؤدِيةِ إلى البَحْرِ
ضَمَمْت رأسَها إلى كتفي

وداعَبَتْ أصَابِعي وجْنَتَيهَا.
مِن عَيْنَيْهَا جرَى جَدْوَلُ حَنَانٍ
لم يكُنْ سوايَ سابحاً فيه
فمُهَا زُمُرَدَهْ... وشَعْرُهَا أسْوَدْ
وعلَيْنَا غُلاَلَةٌ رقيقةٌ مِنْ ضوءِ القَمَرْ
مِنْ رائِحَةِ ثِيابِهَا سَكِرْتَ...
ومِنْ نُعُومةِ خَدَّيْها جَرَتِ الخَمْرَةُ في دَمِي.
وعِنْدَمَا أيقظَتْ قطراتُ النَّدى عَصَافيرَ الصباحْ
لم أكُنْ قد غَفَوتْ
فقط كنتُ ثَمِلاً
أُصْغِي إلى أغنيةٍ ساحِرهْ
كانَتْ تَتصاعَدُ من رأسَيْنَا.

لندن ١٩٥٤

الأَنْفُ المتمرّد

عندمَا جاءَ الهواءُ الرقيقُ عابِراً فَوْقَ الريف،
كانَ كلُّ ما في المكان يدْعو زائراً أن يجلِسَ ليؤلِّف أُغْنِية :
أشجارُ التُفاح، والكُمَّثْرَى والحورُ الهرمية، والبلُّوطُ الكُرَوي،
وأشجارٌ أخْرى كالفضيلة. . .
ذات أعمدةٍ ملساءَ كأعمدةِ القُصُورْ
الثُّرَيَاتُ، والطنفُ، ورخامُ النافورة
جميعُهَا فضيّة كوجهِ القَمَرْ
ومن الحقول جاءت صيحاتُ طائرِ السَّلْوى
وصديقِي دعوتُه
ليرى ألوانَ مزرعتي

غيرَ أن الياقةَ البيضاءَ السميكةَ التي تلْتَفُّ حَوْلَ عُنُقِه
كانتْ تمْنَعُ رأسَهُ أنْ يتحَرَّكَ حُراً
الاشمئزاز متربصٌ حَوْلَ فَمِهِ
والازدراءُ في عينيه
لم أيأسْ . . .
بلْ في حماسة وأمل، طُفْتُ به حديقةَ البرتقالْ،
وخَمَائِلَ العنبْ
ووقفتُ به عندَ الظُّللِ، وخَلاَيا النَّحل
وصديقي
ظلَّ مشدوداً كالأسلاكْ
شمسُه غائبةٌ أبداً . . .
يفْتِنُهُ العَوْسَكُ والْحَسَكْ،
ويَسْتَهويه الكُرْكُم، وبُهَار الهند . . . !!
منذ آلافِ السنين
وثيابُهُ تأبى أنْ تَحمِلَ في طَيَّاتِها عِطْرَ هَذِهِ الحقولْ
عَرَفْتُ ذلكَ عندَ مُنْتَصَفِ الليل

عندما تسلَّلَ من حديقتي
وسارَ إلى طَرف الحقلْ
حيث انعقدَتْ سحابةٌ من الدُّخانِ القاتمْ
وفي نَهَمٍ بالغْ
جَلَسَ صَديقي
يشمُّ الرائحَةَ الفظَّةَ التي تَزْحَفُ على الأرضِ سَودَاءَ كثيفة
مِنَ احتراق الرَّوثِ والْبَعْرْ
وقد دار البَكَاشِين حَوْلَ رأسِه
صائحاً صياحَهُ الكئيبْ

لندن ١٩٥٤

صَمْت

استمري
استمري في صَمْتكْ
لا تفوهي بكلمة... هذا حَسَن
دعيني أتملَّى النظرَ إلَيكِ
شدَّ ما ودِدْتُ أنْ أخْرُجَ عن كلِّ ما أمْلِكْ
في سبيل أن أَظَلَّ واقفاً هكذا أطول مدةٍ مُمْكِنَة وأنا
أنظُرُ إليكِ
لا تقولي شيئاً
لا تُجيبي
لستُ بحاجةٍ إلى شيء
فأنا أعلم أنك لا تستطيعين أن تكُوني لي زوجة

حسبي أني أُحِبُّكِ
يا لقعقعةِ هذا الرعد!!
أمنَ المُحتَمَلِ أن تظلَّ واقفةً هكذا أمامَ وخْزِ العاصفة
كانت نظراتي مفتونةً، ووجهي شاحباً
وكنا معاً أمام عتبةِ الدارِ
قصَفَ الرعدُ قصفاً مروعاً
وانشقَّت السماءُ شِطْرين
وابتلَعَتْ الدارُ صاحبتي
كِدْتُ أميد، ولكنني تماسَكْت
ورُحْتُ في عُزْلَةٍ باردة
يضمُّني ليلٌ رهيب...
مُضْطرمُ القسوة
يا لربَّاتِ العذابْ! أيُّ صمْتٍ يتغَشَّاني
أيُّ صَمْتٍ يَتَغَشَّاني...

لندن ١٩٥٤

رسالة إلى صديق

كُنَّا نُحرِّكُ المَلاَعِقَ الصغيرة في أكوابِ الشاي عِنْدَمَا
جاء خطابُك . . .
ومنَ الغُلاف، وقبل أن أفُضَّ الرِّسالة، عَرَفْتُ أنَّك في
الإسكندرية.
وفجأة، عاد الماضي إلى مُخَيِّلَتي:
الناسُ يَمُرُّون أمامي ومعهم الحبُ، والسَّعَادَةُ بجانبي
تعايشُني وتقيمُ معي كتفاً إلى كتف . . .
كنتُ أحْيا دونَ مبالاة
دونَ محاولة لفَهْمِ نفسي
دون أنْ أهْتَمَّ ماذا أنتظرْ . . . وماذا أتوقعْ
وكان الزمنُ يمضِي . . .

واليومَ. هل يعودُ ما فاتْ؟ أم هَلْ تأباهُ علينا الحياة كلاً. . .
لن أُصبحَ شيخاً. . . لن تنحني قَامتي
لن أُديرَ ظهري للحياة، لن أعيشَها مُرْغَماً
لن أكفَّ عن مُطارحَتي للحُبْ. . .
سأظلُّ أتمسكُ بحماقاتي،
وسأُلقِي بها في كلِّ مكان. . .
سأنتزِعُ من أمامي هذا الأُفُقَ المُرْبَدّ. . .
وسأهجرُ هذا المُنْبَسطَ الشاسِعَ مِنَ الوَحْشَةِ والخَواء. . .
وسيَمْضِي الزَّمنُ. . . سَيَمْضِي كما كان. . . دُونَ مُبالاة،
والسعادَةُ بجانبي، تُعايشُني، وتقيمُ معي كتفاً إلى كتف
لم أنتظر حتى أحتسي الشاي، ولكنني نهضْتُ وارتدَيْتُ
ملابسي بسُرعة
ثم انطلقتُ إلى الحديقة، وقد تسلَّل الدفءُ إلى قلبي. . .
وعلى شفتيَّ يتراقص نَغَمٌ جَمِيلٌ. . .

الخرطوم ١٩٦٢

امْضِ.. ولكنْ تحَوَّل..!

ذَاتَ مسَاء...
وفي حفلٍ صَاخِبْ.
التقيتُ بها...
كانت الخمرُ المعتقةُ تُفْلِتُ مع ثديَيْها مِنْ ثَوْبِهَا
المشقوقِ من أمام...
وكُنتُ أتَرَنَّحُ من السُّكْر!!
واعدَتْني أنْ نلتقي في الحديقةِ بَعدَ أنْ أفِيق...
وهناك... وتحتَ خميلةٍ مُلْتَفَّةْ
سارعتُ إليها... وفي لهفةٍ متأجِّجَةْ
ألْصَقَتْ في عُنفٍ شَفَتَيْهَا إلى شَفَتَيَّ... حتى كِدْنَا
نَسْقُط...

كانت تَلْبَسُ ثوباً فضفاضاً، تُحَسُّ من دونِهِ عاريةً. . .
استَسْلَمَتْ لي ولم أكُنْ قد أفَقْت!!
محتفظةً بي بين ذِرَاعَيهَا حتى أسْفَر الصُّبْح. . .
وبعدَ أيام. . .
كانت حبيبتي تَنكبُّ على شفتَّي. . .
تجاهِدُني بالمخالف والأسنان. . . كأنها السِّنَّوْرُ الأعْظَمْ
سَلَخْتُ فمِي من فَمِهَا. . .
ثم استعمت!!
وكأن هاتفاً يقولُ لي. . .
امضِ. . . ولكنْ تَحَوَّلْ. . !!

الخرطوم ١٩٦٣

الصدق

الصدق . . . الصدق . . . الصدق
حَفْنَةٌ واحدةٌ من الصِّدْق!!
هَذَا كُلُّ ما أَطْمَعُ فيه . . .
إن الصدقَ ليبدُو لي كغزالٍ شَرود . . .
يلُفُّ مني ويدورُ، يَسْبِقُنِي، ثم يَقِفُ ليختفيَ تارةً،
ثم يَظْهَرُ، ثم يُفلِتُ مني في مَسَاربَ وطُرُقَات . . .
فأحوطُه من هنا، وأقطعُ عليه الطريقَ من هناك
وأنا مبهورُ الأنفاسِ من الجري . . .
فإنْ أمْسَكْتُ به تحققَتْ السعادة . . .
وإلاَ فقَدْ عِشْنَا فِي الجَرْيِ وراءه زَمناً رغداً!!
على أنني إن فَشَلْتُ

فلسوفَ أغفُو حتى لا يبدوَ لناظِري
سوى نُور الصِّدْقِ الزَّاهي
وحتى لا تَنفَرجَ عَيْنِي إلا على وجودِه الْعَذْب

الإِسكندرية ١٩٦٥

الجفاف

المطرُ لمْ يسْقُطْ!
والأشياءُ جميعُها تجِف...
والقمحُ يَذْوِي على عيدانِهِ...
والجميعُ في حالةٍ مُرَوَّعَةٍ من الْقَلَق
فالمطرُ لم يَسْقُط...
حتى الطيورُ والضفادعُ ستقاسي زمناً عصِيباً!!
وها أنذا أجلسُ كلَّ يوم إلى جوارِ شجرةٍ زاوية
ألمسُ أوراقَها الهشَّة السوداء، ثم أنخَرِطُ في الْبُكَاءَ.
إن الأمطَارَ على بُعدِ مئاتٍ مِنَ الأميالْ
أمطار غزيرةٌ مُنْهَمِرة
غيرَ أنَّها بعيدَة...

وقد لا تصلُ إلى هنا
نَعَمْ، قد تنهمرُ جميعُها قبل أن تصلَ إلينا
أدْرَكَ الجميعُ مَعْنَى السَّغَبْ. . ! !
«وهَرْولوا إلى القبابْ»
«أعلَنُوا الحِدَادْ». . ! !
«حزناً على السنابِل الصفراءِ كالذهب»
لكنهم في قلقٍ واقفون! !
في انتظارِ هجرةِ الطيورِ. . . واقفون. . ! !
حيث تتواكبُ الآلافُ من العصافير
تسوقُ السحبَ أمامَها فوقَ الأرض
تحملُها في رِفق. . حتى لا تنقلبَ على جُنُوبِها
ثم ترفرفُ العصافيرُ بأجنحتها
فتدفعِ الريحَ أكثرَ فأكثر. . . صوبَ الأرض
ثم يُواصل الموكبُ الكبيرُ زَحْفَهُ
مُزَمْجِراً وهادِراً نحوَ الحقولِ المُجْدِبَةْ
عند ذلك

سَوْفَ تتألقُ الزهورُ في ظِلالِ الليلْ
وتنطلقُ البلابلُ صَدَّاحةً فوقَ حقولِ الشعيرْ
وتترامى إلى سَمْعِكَ
بذورٌ ناضجةٌ في أحشائِها

الكويت ١٩٦٩

من وراء الضباب

همَسات

إنَ أحلامَنا هيَ الحَقيقةُ المختفيةُ وَراء
ظاهِرنَا المُزَّيف.

* * *

كثيراً مَا نُنَظِّف حَديقَتنا بإلقاءِ فضلاتَها
عَلى حَديقة جَارنَا.

* * *

إذَا لَم تَكن الورَيقاتُ الخَضْراءُ المكوِّنة
لذاتي تزدَادُ في غَدي عَنهَا في أمسِي فقَد جَفَّت
جذوري، وَذَبَلَتْ ورَيقاتي الخَضرَاء.

* * *

كثيراً مَا نصَلي ونَحن لا نشعُر أننا نصَلّي،

وَتلكَ أعمَق صَلواتِنا.

* * *

لَولا الأُذُنُ مَا نطق الإنسَانَ بالشعر. عَلى أن كثيراً من أشعَارِنَا لا يَستطيعُ أن ينفذَ إلى كثير من الآذان. عَبثاً تحَاوِل قيثارتي أن تبعَث النغَمَ الذي ينطلق مِنْ قيثارة أخي.

* * *

الحرِّيَة قيدٌ جَمِيل يُحَلِّي بهِ الإنسَانُ قَدَمَيْه عندمَا يَراه مَتلألئاً في قدمي جَاره.

* * *

الطغيانُ حرّيَة عَميَاء.

* * *

وَلَدَتْنَا أمهَاتُنَا عِندَ أسفَل جَبلٍ مقدّسْ، ورَبطت كلاًّ مِنَّا إلى أخيه بحَبْلٍ مَتين وَتركتنَا نصعَد في الجَبل، وَهِيَ مطمئنَة إلى التفافنا جَميعاً حَولَ حَبْلٍ وَاحِدٍ فَمَا أعجبَ مَا حَدَث بعَدَ هَذا!! لَم يَصِل

أحَد إلى قِمَّة الجَبَلِ المقدَّس غَير رفيق وَاحدْ
كانَ قدْ فَطِنَ إلى قَطع الحَبْل المتين.

* * *

يَعْشَقُ النَاسُ عبوديتَهم وَيخْسِبونهَا دِيناً،
وَيَمْقُتُونَ حرّيَتهُم وَيخسبونهَا كفراً.

* * *

شجَرَةُ المَعْرِفَة جذورُها في الطِين
وَفروعُهَا في السَّمَاء.

* * *

أجمَلُ ما في الطَريق أنك لا تعرِف المكانَ
الذي سَينتهي إليهِ مَسيرك.

* * *

مَعْرِفَتُكَ بالنهَايَة لا تجنّبكَ الخوفَ منهَا.

* * *

الخَطأ مفتَاحُ قاعَةِ الصَّوابْ.

* * *

أورَاقُ الشَجَرِ تموتُ في الخريف وتولَدُ في الرَبيع، أمَّا

الشَجرة فبَاقية، وَمِن يَدري لعَلّ أورَاقَ الخَريف
المتسَاقطة هيَ التي أنبتَت أورَاق الرَبيع الخَضراء.؟

* * *

عِندَمَا يحبُّ الإنسَانُ أن ينفّسَ عَن آثامه يَروح
يجمَعُ آثام الناس ليؤلفَ مِنهَا أغنيَة ينشدُهَا.

* * *

أجمَلُ تَعزيَةٍ تقدّمهَا للسَّارِق والسَّفاك أن تحَدّثهُمَا عَن
طَريقتك
في سَفكِ الدِّمَاء، وأن تَهمِسَ إليهمَا بمغَامراتك في
السَّرقة.

* * *

عندَمَا يَصحو البَطُّ الراقِد فوق صَفحَة الماء وَينطَلِق كما
تَنطَلِق
زَوارق الجَنّة تَستيقظ صَفحَةُ الماء وَترقصُ أموَاجُهَا.

* * *

مَرَرْتُ عَلَى النيل في الصَّبَاحِ فوجَدته يَرتدي ثوباً
حَريْرياً،

وعَندمَا مَررْتُ عَليهِ بعدَ الظَيرة وَجَدتهُ في ثوب رَمَادِيّ مَموَّج. وَعِندَ المَساء ذَهبت إليهِ فوجَدته متشحاً بغُلالة رقيقة سَودَاء، ثمّ نظرت بعَدَهَا إلى ثوبي فوجَدته حَبيسَ الهَيكل الزائل.

* * *

آه..!! إنني سَأسير في نفس الطريقِ الذي سِرت فيهِ بالأمس وَأخشى أن يصِيبني الملَل.

* * *

لو أدرَكَ الملكُ السَّادِر في طغيَانِه أنه في الحقيقة عَبد لعَبيده، لَطأطأ حيَاءً.

* * *

المِلكُ السَائد بجسَدهِ رَعيَة، وَالرعيَةُ السَائدَة بروحِها ملك.

* * *

الحرّ رَجل واحِد فقط، ذلكَ الذي يَستطيع أن يغَيّر حَياته مَتى رَفضَها.

* * *

يُصفَع الطفلُ عَلَى وَجههِ فيضحَك.

* * *

العَبقريَة أن توهبَ التَغلّبَ عَلى الخَوف،
وَأن تُمنَح الصَّبر عَلَى المكاره.

* * *

المتعَصّبُ لرأيه قاتِلٌ وَسَجَّان: يقتلُ
المَواهبَ البرَيئة ويَحبسُ مَلكات
النَاس في أقفَاصِ غُرورِه، ويكْتَفِي بالخيطِ
المرتعش المختنق من الضَوء في أعماقِهِ
المظلمَة.

* * *

الشَاعِر يَرى في يقظته مَا يَراه سَائِرُ
النَاس في أحلامهم.

* * *

الزوَاج دخول بالمرأة في الأسوَاق، أمَّا الحبّ
فبقاء مَعَها خَارج أسوَار المدينَة.

* * *

الحبّ هو اللحن الذي لاَ يتمُّ أبداً، سَتضَع لحنكَ بيَدِكَ، وَتظن أنه قد تَمّ، ثم يَطلع عَليكَ نَهَارٌ قريبْ فيكشفُ لكَ عن نَقصِ لحنِكَ الذي أنشَدتَهُ،
وعندئذٍ تَجد نفسَك بَاحِثاً عَن لَحنٍ جَديدْ.
وَسَتَجده نَاقصاً عندَ مطلَع النَهار القريب. وستظلّ تشتاقُ وَتشتاقُ. وهَذا الشوقُ الأزليُّ هوَ اللحن الذي لايتمْ أبداً... هوَ الحبّ.

* * *

كلّ امرأة سَمكةٌ لا مثيلَ لَهَا بَينَ الأسمَاكِ في بَحرٍ لا نِهائي. كم مِنَ الزمَنِ حَملتْنِي موجَاتُ هَذا البحرِ، وَكم فتحْتُ عَيني في مِيَاهِهِ عَلى صَدَفَاتٍ وَجواهِرَ لا عَدِيدَ لَهَا.

* * *

بَينَ يَديَّ لآليءُ كثيرة، كلُّ لؤلؤةٍ مِنهَا تختفي وَراء سجنٍ صَدفي. ما أَقْسَى صَدَفاتي... إنهَا تحجب عَني لآلئي، فَكم عَالَجْت أبوَابهَا الحَديديَة فاستعصَت عَليّ،

ترى مَتى أستطيع أن أرىٰ وَجهَ لآلئي!!

* * *

لا يَستطيع أن يَرى بَراءتَك وَشفافيتَك إلاّ الأبريَاءُ الشفَافون، أمَّا صَدؤك وَأخطاؤك فلا يكْتشفُها إلاّ الأئمَة المخطئون.

* * *

الأمَراءُ هم الأبَرارُ الشفافون.

* * *

إذا كنتَ تقوَى أن تقيم من إحسَاسَات ذَاتِكَ الصَادقة قانوناً لنفسِكَ فذلك هوَ العَمل العَظيم.

* * *

الحرُّ في هَذه الحيَاة طائر يَهبط حينمَا يشاء، وَلَه في كلِّ شَجرة غصن.

* * *

قَلَّمَا يكون بَينَ القطيع مَن يدرِك حِكمَة الرّاعي.

* * *

تَنعتون أنفسَكم أحراراً وأنتم في ذُلِّ الجسَدِ مَحصورون؟

في طريقي، وَأنا سَابح في أعمَاق البحر، كنت أجِدُ بَين كلّ مَائةِ ألفِ صَدفةً جَوهَرةً واحِدة، وَأحيَاناً كنت لا أجدُ شيئاً!!

لا تستطِعُ بَصيرةُ المغرورِ أن تَرى الشموسَ
وَالأقمار، لأنهَا دَائماً تستكفي. بالخيطِ المرتعشِ من الضوءِ في
أعماقِها وحدَها

* * *

إن كلَّ مَا نقابِله في تجوَالنا وَسِيَاحَا تِنا
مَا هوَ إلاَّ بُذورٌ في أعمَاقِ نُفُوسِنَا،
ثمَّ يَمضي عَليهَا الزمَنُ. فَمِنَّا مَن تُسْتَنبَت
عندَه ثَمراً، وَمنَّا مَن تبقى عندَه دَفينة
لا تَرى الضَوء.

* * *

أنَا يا إلهي نواةٌ جَوفاء!! أتوَسَّل إليكَ
يَا إلهي ألاّ يَنكسر جدَاري وَأنَا فَارغة..!!
أَمهلْني حَتى تَأتيني ذات مِنْ ذَواتكَ
العلويَة فتَملأ فَرَاغي وَظُلْمَتِي،

ثمَّ تحطُمُ بيَدَيهَا جدَاري، وَتتَعَالىٰ
دوحَةً مبَاركَة الظلّ.

* * *

أنَا اللصّ الصَّالح، والأناني المقدَّس. أنفَقتُ عمري
في جَمع القَيمٌ الجَميل من الأشيَاء، وَمَا زلت نَهماً
جَائعاً.

* * *

مَا أشبَه الرَجُل النَاضجَ بالطّفلِ، فكلاَهُما،
يَضحَك للمَوت، وَلا يَأبه بالمخَاطِر.

* * *

يَا أهلَ وَطني وَأبنَائي وَأخوَاتي... سَتأتيكم
قصَتي في أنغَام شوهَاء، فمَا زالت قيثارتي
ضَائعَةً... ومَا زلت متجَوّلاً أبحَث عَنها في كلّ طَريق.

* * *

لطالما بكيتُ لأخرجَ مِن بَيتي، وهَا أنَا اليومَ أبكي
لأعودَ إليه!! لكنهَا الجرعَةُ المرّة الَّتي
أوصَاني بهَا الطبيب السّاهِرُ في أعمَاقي،

لعَلهَا أن تشفَيَني من داءٍ قديم يَجثُم عَلىٰ قلبي.
سَأداوي بهَا نفسيَ المريضَة، وَسَأضَع روحي
عَلى النَارِ الموقدة... وسَأنتظر... سَأنتظر
حَتى أبرَّأ من شهوَاتي.

* * *

وَلكنَني مَا زِلت العَبد الجَائع. تفترسُني
عَربَدةٌ مخيفَة، وَتُلاحقني أشبَاحٌ سَودَاء
ورغباتٌ لا نهَائيَة.
يَا إلهي لقَد عُدْتُ إلى زوَايَا السَّلامَة مِنْ
جَديدْ... آه!!. كَم أفزعُ من هَذه الزوايَا
التي يُغَلِّفُها الرّيَاء، وتُغَلّلُهَا العبودَية.

* * *

أنَا القَلِق، المنهَك، المَلول!! أريد أن أنتقل...
أن أتركَ المكان... أن أخَاطِر... أن أعشقَ...
أنْ أَعْشَقَ كُلَّ شَيء... أن أتحَوّل إلى ضَبَاب
لأمتزج بالموجودَات... وَأتسَلّل إلى ثنايا الكائِنَات
ليسَ الطعَام وَالشراب غذائي، وَإنما غذائي

حَبَّاتٌ تُزرَع في أعمَاق القلوب ثم تُصبح
شجراً لَه ثَمر، وهَذا الثمر هوَ أعنابي...
أعنَابيَ الَتي أعيش عَلى رحيقهَا.

* * *

لكَم تمنيتُ أن أجعَل بَيتي مَعرِضاً تُعرض
فيه الجَواهرُ من كلّ أرض... وَلكن
مَا أتعَسَني؟ فمَا زِلت كالغَواص العَاثِر الحَظ.

* * *

أنَا الجَوهَرِيُّ المفلس... مَناجمي خاويَة... غيرَ
أني سَأظل وَاقفاً عندَ أعتاب هَذا البَاب...
فقد أعثر يَوماً في ترابِهِ عَلى مَا يُضيء صَدري
من الدُّر وَاليَواقيت... وَلن يَطول احتمالي.
فأنني سَأسعَى جَاهداً، وَربّمَا استطعتُ
أن أملأ جُعبَتي في يَوم قريب.
سأسلك الطريق الذي يجعَلني غَنياً... سَأكون
في غنى قارون... لأنني عَقدت العَزم

عَلى السَّير إلى كنوز المحَبَّة التي لا نهَاية
لحسنها.
وَلو أن مِئَات السَائلين مِن أمثَالي رغبوا في
غنى قارون. وجَاءوا مَعي في نفس الطريق.
لَعادوا وَهم يرددون لي الدّعاء، لأنَ
قلوبهم المحترقة سَوف تتفجّر منهَا.
الجَداول... الجَداول المتدفقة بالخَير.
ذلك لَو أنهم سَاروا مَعي في نفس الطريق.
ولكي تُثمِرَ الشجَرةُ لا بدّ أن نذهب وَنبذرَ...
فَلم يَعد من الحكمَة أن يظلّ غبَار أجسَادنا حجَاباً
لأروَاحنا
يحجب عَن بصيرتنا السَبب
الذي من أجله جئنا... وَمِن أجله نعود
وَالسَّببّ في اعتقادي هوَ أن
نبذرَ الحب.. نعَم الحب.

الفهرس

الإهداء ٥

تقديم ٧

عواصف الأصيل

مَنْزِلُ الْحَبِيبِ بعَيدٌ بُعْدَ الْجَنَّة ١٩

أَرَاكِ فأنجو من الموت. ٢٩

لاَ تَغِيبِي. ٣٧

أَشْوَاقٌ بِلاَ شَطْآنْ. ٤٥

فَوْقَ الدُّنيا. . ضِدَّ الزَّمَنِ. ٥٨

وهكذا نموتُ قَبْلَ مَوْتِنَا الطَّبِيعِي. ٦٧

دَوْلَةُ الكِبَارْ. ٧٩

نقاوةُ الحياة ٨٣

الإِنْسَانُ الْيَوْم ٨٨
الأَهَمُّ هُوَ الْحَيَاةُ. ٩٥
الْعَزْفُ فَوْقَ أَسْطُحِ الحياةْ ١٠٢
أعطُوني النَّجَاةَ من الأَلَمِ والْوَيْل ١٠٧
وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الأَكْبَرُ. ١١٣
يُونُسُ في بَطْنِ الْحُوت ١١٨

الشـــروق

سأراكِ ١٣١
الجوع ١٣٤
الغابة المقدسة ١٣٦
لحن النبوّة ١٤١

قصائد النثر ـ أنامل وَرعة

اللؤلؤة الأسيرة ١٤٧
بُنيَّ ١٤٩
العصفور ١٥١
المَزْرَعَة ١٥٣

الأَصْدَافُ الفَارِغَةُ ١٥٥
نَانسي ١٥٧
جِيسيكا ١٥٩
الأَنْفُ المتمرّد ١٦١
صَمْت ١٦٤
رسالة إلى صديق ١٦٦
امْضِ.. ولكنْ تحَوَّل..! ١٦٨
الصدق ١٧٠
الجفاف ١٧٢

من وراء الضباب

همَسات ١٧٧
الفهرس ١٩٠

Bibliotheca Alexandrina
0297365